



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

التواصل الثقافي بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء فيما بين القرنين 2-9هـ / 8-15م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي

تحت إشراف الأستاذ:

د/ لكحل مراد

من إعداد الطالبتين:

بوخديش نهاد

عباسي أمال

السنة الدراسية: 2019 / 2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و عرفان

نتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور "مراد لكحل" الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل ولم ييخل علينا بتوجيهاته ونصائحه وإرشاده في سبيل إتمام هذا العمل.

كما نشكر الأستاذ "حروز عبد الغني" الذي لم ييخل علينا كذلك بنصائحه وتوجيهاته.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى كل من شارك في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من أضاءت حياتي برعايتها ودعائها
لي إلى أمي الحبيبة والغالية على قلبي ليلي، إلى الذي حثني
على العلم والاجتهاد فيه ولم يبخل عني بالعطاء وكان نعم
الأب والصديق إلى أبي العزيز والغالي على قلبي يوسف
أطال الله في عمرها.

نهاد

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى الغالية على قلبي إلى من ربتي
وسهرت الليالي من أجلي إلى التي كانت سندي في كل
الظروف إلى الذي تعب من أجلي ورباني نعم التربية إلى من
دفعني لطلب العلم إلى الذي أفتخر أني أحمل اسمه أبي
الغالي الحنون أحمد.

إلى أحبتي إخوتي الذين وقفوا إلى جانبي في كل الظروف
وشجعوني لمواصلة طريقي في العلم.

إلى أختي وصديقي نهاد التي عملت معها بجد لإتمام هذا
العمل، إلى أحبتي وأصدقائي الذين قضيت معهم أجمل
الأوقات إلى كل من ساعدني ومد لي يد العون في إنجاز
هذا العمل "أهدي ثمرة جهدي".

أمال

مقدمة

شهدت إفريقيا جنوب الصحراء خلال القرون الأولى تحولات كبرى مست جميع النواحي لاسيما الجانب الثقافي، وكان ذلك بعد انتشار الإسلام وتغلغله بين سكانها وكان للمغاربة الأثر البالغ في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة والنهوض بها إلى قمة الحضارة والتطور، ونشأت روابط وعلاقات سياسية اجتماعية ولعل العلاقات الثقافية هي الأبرز بين تلك العلاقات، ويظهر ذلك جليا من خلال نشاط التبادل الثقافي بين القطرين.

وسنعالج في هذا البحث "موضوع التواصل الثقافي بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م".

أهمية وأسباب اختيار الموضوع:

تم اختيار هذا الموضوع لاعتباره مهمش من قبل الباحثين خاصة في القرون الأولى فلم يحض هذا الموضوع باهتمام الباحثين، ولما له من أهمية كبيرة في الدراسات الوسيطة بإفريقيا جنوب الصحراء ومحاولة معرفة أهم العوامل التي ساعدت على التواصل الثقافي بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء.

هدف الدراسة:

هدفنا من هذه الدراسة هو تحديد العوامل التي ساهمت في تقوية الروابط الثقافية بين المغاربة وساكنة بلاد إفريقيا جنوب الصحراء خلال القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م، وتأثير هذا التمازج الثقافي على إفريقيا جنوب الصحراء.

الإشكالية:

إنّ انتشار الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا جنوب الصحراء سهلت من عملية التواصل الثقافي بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء.

ومن هنا نطرح الإشكالية التالية: ماهي أهم العوامل التي ساعدت على تقوية الروابط الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء؟ وما مدى تأثير التواصل الثقافي على إفريقيا جنوب الصحراء؟

وتتدرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية أهمها:

- ماهي جذور التواصل الثقافي بين القطرين؟
- ما هي عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى؟
- ما هي عوامل ازدهار الحياة الثقافية في إفريقيا جنوب الصحراء؟

عرض الخطة:

لدراسة هذا الموضوع قمنا بتقسيمه في خطة متكونة من مقدمة ومدخل تمهيدي وثلاث فصول وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

تطرقنا في الفصل التمهيدي إلى التعريف بالمنطقتين جغرافيا وذكر جذور التواصل الثقافي بينهما، أما الفصل الأول فقد اشتمل على عوامل نمو الحياة الثقافية بكل القطرين، والفصل الثاني احتوى على عوامل تمتين الروابط الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء والتي تشمل الطرق والمراكز الثقافية والتجارية، وكذلك أهم الرحلات العلمية والحجبة، وأخيرا الفصل الثالث فتضمن مظاهر تأثير التواصل الثقافي على إفريقيا جنوب الصحراء في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، أما الخاتمة فتتضمنت أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

منهج الدراسة

استخدمنا المنهج التاريخي بألية الوصف والتحليل مستقرئين المصادر التاريخية والجغرافية ومصادر الرحلة وكذلك المنهج المقارن حيث قمنا بالمقارنة بين الحضارة الثقافية

بالمغرب الأقصى وبإفريقيا جنوب الصحراء، أما المنهج السردى فقد استخدمناه في سرد بعض الأحداث التي تركت أثرا في التاريخ الوسيط.

مصادر ومراجع الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على مجموعة من المصادر التي عايشنا الفترة المدروسة سواء تاريخية أو جغرافية أو مصادر الرحالة وأهمها:

كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي والذي يشمل على معلومات مهمة في الجغرافيا أفادنا في جغرافية كل حاضرة والتعريف ببعض المدن.

كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس لابن أبي زرع الفاسي اعتمدنا عليه فيما يخص التعريف بالمنطقة الجغرافية لبلاد المغرب الأقصى وفي معرفة الأوضاع الثقافية بالبلاد.

كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان اعتمدنا عليه في التعريف بالمنطقة الجغرافية لبلاد إفريقيا جنوب الصحراء واعتمدنا عليه في الفصل الثاني في عوامل تمتين الروابط الثقافية بين كلا القطرين وأفادنا أيضا في معرفة الطرق التي تربط بين المنطقتين، كما تحدث عن أثر الجاليات المغاربية في السودان الغربي.

كتاب ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من دوي الشأن الأكبر لعبد الرحمان ابن خلدون اعتمدنا عليه في الفصل الأول في ذكر السلاطين الذين تعاقبوا على حم بلاد المغرب في مابين القرنين 2هـ - 9هـ، واعتمدنا عليه في الفصل الثاني في ذكر بعض الأسر والقبائل المهاجرة إلى إفريقيا جنوب الصحراء، ووصف بعض ملوكها.

كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري

اعتمدنا عليه بصفة كبيرة في الفصل الأول الذي تحدث فيه عن الدول التي قامت في المغرب الأقصى في الفترة المدروسة.

كتاب تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار أبو عبيد الله الطنجي ابن بطوطة اعتمدنا عليه بكثرة في وصف رحلته إلى السودان ووصف ملوكها أفادنا كثيرا كونه يصف الأحداث وصفا دقيقا حين ببلاد السودان كما تحدث عن العادات والتقاليد وأيضا عن التجار.

كتاب تاريخ السودان للسعدي ساعدنا كثيرا في ما يخص إفريقيا جنوب الصحراء في ذكر ملوكها وعاداتهم وتقاليدهم ووصف بعض رحلاتهم الحجية.

إضافة إلى مصادر أخرى كالمغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب للبكري و صورة الأرض لابن حوقل وصبح الأعشى للقلقشندي إلى غير ذلك والتي لا تقل أهمية عن الأخرى.

أما المراجع فهي عبارة عن دراسات أكاديمية تطرقت إلى موضوع التواصل الثقافي بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء بصفة مباشرة أو غير مباشرة:

كتاب دراسة في تاريخ العلاقات بين المغرب الإسلامي وإفريقيا جنوب الصحراء لإسماعيل سامعي والذي يتحدث عن جذور العلاقات بين المغرب والسودان الغربي والمسالك والطرق التجارية بين القطرين، وأفادنا أيضا في الفصل الثالث في ذكر مظاهر تأثير المغاربة على إفريقيا جنوب الصحراء.

كتاب التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا في ما وراء الصحراء للهادي المبروك الدالي الذي يذكر في ه المسالك والطرق التجارية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء، ويتحدث في كتابه الثاني مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا عن

أهم المراكز الحضارية بمالي، وذكر رحلة منسى موسى إلى الحج وتأثيرها على إفريقيا جنوب الصحراء، كما تحدث عن القبائل التي كانت في السودان الغربي وأهم تأثيراتها.

الدراسات السابقة:

من الصعب جدا بناء دراسة جديدة دون الاعتماد على دراسات سابقة وقد حاولنا الحصول على دراسات متخصصة في هذا الموضوع غير أننا وجدنا دراسات قريبة لموضوعنا ومنها:

عبيدي سعد مريم: الجاليات المغاربية بالسودان الغربي مابين القرنين 5هـ - 9هـ / 11م - 15م، تناولت هذه الدراسة مقدمة وفصل تمهيدي حيث تطرقت فيه إلى أسباب هجرة المغاربة إلى إفريقيا جنوب الصحراء والعوامل التي جعلت من هؤلاء يستقرون بالمنطقة وأهم المراكز الحضارية التي استقرت بها، أما الفصل الثاني فذكرت فيه أهم هذه الجاليات المتكونة من التجار والعلماء والفقهاء وكذلك أهم الأسر المهاجرة والمستوطنة بإفريقيا جنوب الصحراء، كما تطرقت إلى ذكر أهم القبائل التي ساهمت في تعميق التواصل مع بلاد السودان الغربي، أما الفصل الثالث فذكرت فيه الباحثة أهم الآثار المترتبة عن هذه الجاليات في بلاد السودان الغربي في مختلف الميادين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

أفادتنا هذه الدراسة في كونها أحالتنا إلى أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الباحثة والتي استفدنا منها في موضوع بحثنا، فقد ارتبطت هذه الدراسة بدراستنا بطريقة غير مباشرة وبكمن التداخل فيما بينهما في مظاهر التأثير والتأثر.

الحميسي رانية وتوحياري نجية: دور علماء المغرب الأوسط والأقصى الثقافي في السودان الغربي من القرن الثاني للهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري، قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وثلاث فصول حيث تطرقت في الفصل الأول للتعريف بمنطقة بلاد السودان ووصف أهم الأوضاع السياسية لبعض ممالكها، وذكرت علاقة هذه الأخيرة بدويلات

المغرب الإسلامي، أما الفصل الثاني فيتحدث عن دور بعض علماء المغرب الإسلامي في السودان الغربي وذلك بتقسيمهم إلى فترات زمنية، وبالنسبة للفصل الثالث فقد ذكرت الباحثتين آثار هؤلاء العلماء المغاربة بالسودان الغربي و ركزت على الجانب الثقافي كانتشار اللغة العربية ونشر التعليم فقط وأهملا الجوانب الأخرى كالمجال السياسي والاجتماعي.

خديجة دباح، نسرین إسماعيلي: تأثير بلاد المغرب على السودان الغربي اجتماعيا واقتصاديا خلال القرنين 16م- 19م.

من خلال اطلاعنا لهذه الدراسات ارتأينا إلى دراسة موضوعنا الموسوم بالتواصل الثقافي بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء فيما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م- 15م لتغطية بعض نقائص هذه الدراسات التي أهملتها والتي سنحاول ذكرها في بحثنا هذا.

وفي الأخير أتقدم بالشكر إلى أستاذي المشرف لكحل مراد وإلى كل من ساعدنا في إنجاز هذه المذكرة من بعيد أو من قريب.

الفصل التمهيدي: دراسة لجغرافية بلاد المغرب

وإفريقيا جنوب الصحراء

المطلب الأول: دراسة لجغرافية بلاد المغرب

المطلب الثاني: دراسة لجغرافية إفريقيا جنوب الصحراء

المطلب الثالث: جذور التواصل الثقافي بين المغرب

الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء

قبل الشروع في الحديث عن التّواصل الثقافي بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء، وأهم العوامل المساعدة على ذلك وتأثير العلاقات الثقافية على بلاد إفريقيا جنوب الصحراء، نلقي نظرة على الموقع الجغرافي لكل من بلاد المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء انطلاقاً من كتب الرّحلة والجغرافيا والمسالك والممالك.

المطلب الأول: جغرافية بلاد المغرب الأقصى:

يمتد بلاد المغرب الأقصى من سبتة¹ شمالاً والمحيط الأطلسي غرباً وما يلي ذلك حتى ماسة ومعارب سجلماسة² والسوس الأقصى، يقول ابن حوقل: "...إلى نكور إلى سبتة ثم إلى البحر المحيط الجنوب فيمر على ماسة و معارب سجلماسة والسوس الأقصى".³

وعند ابن الفقيه وابن عذارى فإنّ المغرب الأقصى يطلق على المنطقة الممتدة من طنجة⁴ وما يلي ذلك السوس الأدنى وحدّها جبال درن حتى بلاد السوس الأقصى.

يقول ابن الفقيه في ذكره لحدود المغرب الأقصى: "وما يتصل ببلاد زاغى بن زاغى طنجة خلف تاهرت أربع وعشرين ليلة وخلف طنجة السوس الأدنى وحلف السوس

¹ سبتة: بكسر أوله بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها، أجود مرسى على البحر، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة؛ ياقوت الحموي(ت: 622هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج6، ص182؛ أسعد أبو كرب الحميري(ت: 727هـ): الروض المعطار في خير الأقطار، تح: إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ، بيروت، ط1، 1975، ص33.

² سجلماسة: مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس 10 أيام تلقاء الجنوب، وهي مقطع جبل درن، وبينها وبين البحر 15 مرحلة، وهي طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب؛ ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج6، ص192؛ الحميري: المصدر نفسه، ص315.

³ أبي القاسم ابن حوقل النصيبي (ت: 380هـ): المسالك والممالك، مطبع بريل، مدينة لينن، 1873، ص23.

⁴ طنجة: بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهو من البر الأعظم وبلاد البربر آخر حدود افريقية؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص43؛ وبالبربرية تعرف باسم وليلي تقع على شاطئ بحر الزقاق (مضيق جبل طارق)؛ الحميري: المصدر نفسه، ص396.

الأدنى السوس الأقصى على بحر اليمن من شرقي النيل ومدينة السوس الأقصى تدعى
طرقلة".¹

من خلال ما ذكرته الروايات التاريخية عن بلاد المغرب الأقصى فهو يمتد من وادي
ملوية² وجبال تازا³ شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا ومن البحر الرومي شمالا حتى
جبال درن وتخوم جبال أطلس جنوبا.

وقد قسم بعض المؤرخين الجغرافيين المغرب الأقصى إلى سبعة أقاليم⁴ من بينهم
الحسن الوزان وهذه الأقاليم هي:

• **تامسنا:** يحدها من الجهة الغربية وادي أم الربيع⁵ حتى نهر أبي رقراق شرقا ومن
جبال الأطلس جنوبا إلى البحر المحيط شمالا.

¹ أبي بكر أحمد بن محمد الهمداني ابن الفقيه (ت: 340هـ): مختصر كتاب البلدان، تح: يوسف الهادي، مطبع بريل،
مدينة ليدن، 1996، ص 81.

² وادي ملوية: خط الحدود بين المغربيين الأوسط والأقصى ينبع من الجبال الجنوبية في وراء تازا ويصب في البحر
المتوسط شرقي سبة ومن روافده نهر زيزو وسجلماسة؛ عبد الرحمان ابن خلدون (ت: 808هـ): ديوان المبتدأ والخبر في
تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط4،
1421هـ/2000م، ج6، ص102.

³ جبال تازا: الحد الفاصل أيضا بين المغربيين الأوسط والأقصى، بني سنة 568هـ أما المدينة ذاتها بناها عبد المؤمن
الموحدي سنة 529هـ، وقام بتحسين سورها؛ الحميري، المصدر السابق، ص128؛ أبي الحسن علي بن عبد الله ابن
أبي زرع الفاسي (ت: 726هـ): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور
للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص262.

⁴ الحسن بن محمد الفاسي الوزان: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي،
بيروت- لبنان، ط2، 1983، ج2، ص30.

⁵ وادي أم الربيع: نهر سريع الجريان كثير الإنحذار والصخور، يزرع عليه القطني والقطن والكمون؛ أبي عبد الله
محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني المعروف بالإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة
الثقافة الدينية، القاهرة، 2002/1422، ج1، ص237، ووصف بوادي وانسيف عند قلعة مهدي ببلد فازار من أرض
المغرب؛ الحميري: المصدر السابق، ص627.

- **فاس:** يمتد من نهر ايناون شرقا حتى نهر أبي رقرق غربا وشمالا يحده نهر سبو¹ وجنوبا سفح الأطلس.
- **أزغار:** تمتد من المحيط شمالا إلى نهر بونصر جنوبا، وغربا تمتد من نهر أبي رقرق إلى جبال غمارة شرقا.
- **الهبط:** تمتد من ناحية الجنوب من نهر وزغة إلى البحر المحيط شمالا، وتتأخم غربا مستتقات أزغار، ومن الجهة الشرقية الجبال المشرفة على أعمدة هرقل ويبلغ عرضها حوالي 80 ميلا وطولها نحو 100 ميل.
- **الريف:** مضيق أعمدة هرقل ويمتد شرقا إلى نهر النكور²، ومن الجهة الشمالية عند البحر المتوسط ويمتد حتى الجبال المحاذية لنهر ورغة³ الواقعة بمنطقة فاس.
- **كرط:** يمتد من نهر ملولو غربا إلى نهر ملوية شرقا ومن الجهة الجنوبية يحدها الجبال الواقعة على تخوم بعض صحراء نوميديا، والبحر المتوسط بمحاذاة نهر نكور إلى ملوية، ويمتد في الجنوب من نهر ملولو إلى جبال الحوز، حيث ينحدر حده نحو البحر بمحاذاة وادي نكور.
- **الحوز:** يمتد من نهر زاغ شرقا إلى نهاية تيكريكرة غربا، يشتمل على قسم كبير من السهول المتاخمة لليبيا.

¹ نهر سيبو: نهر عظيم يأتي من نواحي جبل القلعة لابن أوالمة ويمر حتى يحاذي فاس من شرقها؛ الإدريسي: المصدر السابق، ص 247؛ الحميري: المصدر السابق، ص 606.

² نهر نكور: سميت على أثره مدينة نكور، وهو يخرج من جبل هناك؛ الحميري: المصدر السابق، ص 577.

³ نهر وزغة: أشهر أنهار المغرب ينبع من جبل كوين؛ ابي عبيدة البكري(ت: 487هـ): المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثني، بغداد، ص 90.

المطلب الثاني: جغرافية إفريقيا جنوب الصحراء

أطلق الرحالة الجغرافيون مصطلح السودان الغربي على إفريقيا جنوب الصحراء في العصر الوسيط، وأول من أطلق كلمة السودان على الأقاليم التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى وسموا بلادهم السودان.

يذكر الحسن الوزان حدود إفريقيا جنوب الصحراء فيقول: "تبتدئ شرقاً بمملكة كاوكية، وتمتد غرباً إلى مملكة ولاتة ويتاخم في الشمال صحراء ليبيا، وينتهي جنوباً إلى المحيط في مواقع لا نعرف عنها غير ما يرويه التجار الذين يأتون إلى مملكة تنبكتو وهو كثير".¹

أما ابن حوقل فيذكر حدودها من الجهة الشمالية المغرب عند سجلماسة ومن الجهة الجنوبية أرض لا تنبت ولا عمارة بها، ومن الجهة الغربية البحر المحيط وجاء في ذلك قوله: "بلاد السودان في أقصى المغرب على البحر المحيط وحدها له ينتهي إلى البحر المحيط وحدها له ينتهي إلى برية بينه وبين أرض المغرب، وحدها ينتهي إلى برية بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات، وحدها له ينتهي إلى البرية التي ذكرت أنها لا تنبت ولا عمارة فيها لشدة الحر".²

وقد قسم الحسن الوزان إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي) إلى خمسة عشر مملكة وهي من الغرب إلى الشرق: "ولاتة، جنى، مالي، مالي، تنبكتو، كاوو، كوبيير، أغدس، كانو، كلاتسينة، زكرك، زنفر، ونكرة، بورنو، كازكا، ونوبة، وتقع معظمها على

¹ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص29.

² أبي القاسم ابن حوقل النصيبي(ت: 367هـ): صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان،

1996، ص24. 25.

نهر النيجر، إلا أنها خاضعة اليوم إلى ثلاث ملوك: ملك تنبكتو، وملكبورنو، ملك كاوو".¹

ويذكر أيضا أنه هناك ممالك باتجاه الجنوب وهي: "بينو، تميام، داومة، مدرة، كرهان".²

ثالثا: جذور التواصل الثقافي بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء

تعود جذور العلاقات بين المغرب الإسلامي وبلاد إفريقيا جنوب الصحراء إلى أمد بعيد من التاريخ إلى عهد الفينيقيين والقرطاجيين وذلك من خلال الرحلات التي قام بها القرطاجيين كرحلة حنون وخيمكن وسيلاكس إلى بلاد السودان الغربي،³ فقد استخدموا سكان الصحراء كوسائط في حركتهم التجارية وكان الهدف من رحلة حنون اكتشاف سواحل المحيط الأطلسي والوصول إلى خليج غانا وبالتالي ربط علاقات متنوعة مع بلاد السودان الغربي، وتأسيس مراكز حضارية وتجارية.⁴

وبدأ دخول الإسلام إلى إفريقيا جنوب الصحراء في عهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثناء هجرة المسلمين إلى الحبشة في بداية الدعوة الإسلامية عام 5 من البعثة / 615م وكانت هذه الهجرة أولى اتصالات للإسلام بإفريقيا جنوب الصحراء، وقد تتابعت الهجرات والبعثات إلى مختلف مناطق إفريقيا جنوب الصحراء خاصة بعد فتح مصر وبلاد المغرب بداية سنة 18هـ / 642م.⁵

¹ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج 1، ص33.

² المصدر نفسه، ص34.

³ صفر أحمد: مدينة المغرب العربي في التاريخ، دار بوسلامة، الإسكندرية- تونس، ج1، ص125.

⁴ إسماعيل سامعي: دراسة في تاريخ العلاقات بين الغرب الإسلامي والسودان الغربي والأوسط إفريقيا جنوب

الصحراء"، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة- الجزائر، ص46.

⁵ المرجع نفسه، ص47.

وذلك في عهد عقبة بن نافع عند فتحه بلاد المغرب الأقصى حيث توجهت أنصار الفاتحين إلى إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي)، وقد بدأت هذه العلاقة مع الحملة التي أرسلها عبد الله بن الحجاج سنة 116هـ/739م وعرفت هذه الحملة في كتب المصادر العربية "بحملة السودان".¹

وقد اختلفت الروايات حول قائد هذه الحملة ومن بينها رواية البلاذري و ابن الخياط الذين قالوا بأنّ قائد حملة السودان هو عبد الرحمان بن حبيب،² وفي رواية ابن عبد الحكم فإنّ قائد الحملة هو والده حبيب بن أبي عبيدة ويقول في ذلك: "وغزا عبيد الله حبيب ابن عبيدة الفهري السوس و أرض السودان فظفر بهم ظفرا لم يرى مثله وأصاب ما شاء من ذهب وكان فيما أصاب جارية أو جارينتين".³

ويؤكد على هذا الرقيق القيرواني حيث ذكر أنّ: "حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع جاء غازيا إلى المغرب فبلغ السوس الأقصى وأرض السودان ولم يقابله أحد إلا ظهر عليه وأصاب من الذهب والفضة السبي أمرا عظيما".⁴

¹ أحمد إلياس حسين: العلاقات بين المغرب الأقصى وبلاد السودان، مجلة الدراسات الإفريقية، الجامعة العليا، ماليزيا، العدد: 34، ص8.

² أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري(ت: 679هـ): فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ص233؛ ابن الخياط(ت: 517هـ): تاريخ خليفة بن الخياط(ت: 640هـ)، تح: أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1985، ص347.

³ ابن عبد الحكم(ت: 657هـ): فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ج2، 217.

⁴ أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق(ت: 425هـ): تاريخ إفريقيا والمغرب، تح: عبد الله العلي الزيدان، عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص66.

وعليه فإنّ دخول الإسلام إلى بلاد السودان كان في القرن الأول للهجرة السابع ميلادي بمعنى أنّ العرب الفاتحين هم من وضعوا البذرة الأولى للإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء.¹

على أنّ من الفاتحين العرب من أعاد إلى المغرب ومنهم من بقي هناك لأنّ الظروف هناك ساعدتهم على ممارسة نشاطاتهم وحرفهم، ومن ثم بدأ التزاوج و التلاقح الثقافي بين الفاتحين العرب وسكان إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي) الشيء الذي أدى إلى اعتناق بعض السود للإسلام متأثرين بمبادئ الدين الإسلامي وحضارته، وهذا ما نتج عنه انتشار الحضارة الإسلامية في مختلف مناطق إفريقيا جنوب الصحراء ومن هنا بدأت العلاقات الثقافية تتطور بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء.

¹ جلال يحي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتبة الجامعية الحديثة، القاهرة، 1999، ص17.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية بالمغرب

الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ -

9هـ / م 8 - 15م

المبحث الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية بالمغرب

الأقصى 2هـ - 9هـ / م 8 - 15م

المبحث الثاني: عوامل ازدهار الحياة الثقافية بإفريقيا

جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / م 8 - 15م

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

المبحث الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

ساهمت مجموعة من العوامل في تنشيط الحركة الثقافية في بلاد المغرب الأقصى فيما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م، الفترة التي شهدت قيام دويلات¹ ساهمت بشكل أو بآخر في نمو الحركة الثقافية بالمغرب الأقصى.

بالرغم من وجود صراعات عسكرية وحركات مناوئة للحكم في الفترة المدروسة إلا أنها لم تؤثر على الجانب الثقافي والعلمي ببلاد المغرب الأقصى.

المطلب الأول: الاستقرار والأمن في البلاد:

عرفت بلاد المغرب الأقصى في عهد المرابطين استقرارا في مختلف أمور الدولة فقد استطاعوا توحيد مناطق مختلفة في ظل حكومة مركزية واحدة.² وأيضا الموحدون استطاعوا فرض الأمن والاستقرار في دولتهم خاصة أيام يعقوب بن يوسف³ حيث ساد الأمن والهدوء والسكينة والرّفاه الاقتصادي وفي هذا يقول أبي زرع الفاسي: "عن أيام عبد

¹ بنو مدرار (140هـ/757م)؛ الحميري: المصدر السابق، ص305؛ مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة وبلاد المغرب، تعليق: سعد زغلول، عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ص200. الأدارسة (172هـ/789م)؛ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص20. المرابطين (447هـ /)؛ أبو عبد الله محمد ابن عذارى المراكشي(ت: 695هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ط2، 1983، ج4، ص9؛ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري(ت: 1315هـ): الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الإسكندرية، 1954، ج2، ص8؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص242. الموحدون(515هـ/1121م). المرينيين(610هـ/1213م)؛ الناصري: المصدر السابق، ج3، ص5-6.

² حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط1، 1980، ص443.

³ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص142.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ -9هـ / 8م -15م

المؤمن بن علي وكانت أيامه أيام أمن ورفاهة وبهجة حسنة صنع الله عزوجل في أيامه الأمن بالمشرق والمغرب والأندلس فكانت الطعينة تخرج من بلاد توت لمحة حتى تصل برقة وحدها لا ترى من يعرضها".¹

وهذا ما تمخض عنه ثقة السكان في ولاء الأمور وفي قدرتهم على فرض سيطرتهم على بروع البلاد فساد الاستقرار والطمأنينة سكان المغرب الأقصى، وفي ظل هذا المناخ نمت الحركة الفكرية وترعرعت فروعها، وقد صاحب هذا الاستقرار امتداد سلطة أبناء المغرب الأقصى إلى خارج حدودهم.² وامتدت رقعة المرابطين إلى السودان والمغرب والأندلس في عصر يوسف بن تاشفين، وقد كان لهذا الامتداد عظيم الأثر في ازدهار الحياة الثقافية والتجارية.³

أما الموحدين فقد أسسوا أكبر مملكة شهدها الإسلام في المغرب فقد امتدت طولاً من المحيط الأطلسي إلى قرب حدود مصر أمّا عرضاً فكان فيما بين الصحراء الكبرى وجبال الشارات بالأندلس.⁴ ونتيجة هذا انتشار الرفاه المادي والنهوض الثقافي والفكري والعلمي والتجاري والاقتصادي.⁵

¹ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص143.

² حسن علي حسن: المرجع السابق، ص443.

³ حمدي عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعة، جامعة الإسكندرية، 1997، ص349 - 353.

⁴ محمد المنوبي: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، مطبوعات دار المغرب للأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط2، 1977، ص12.

⁵ عز الدين عمر موسى: الموحدون في المغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، الرياض، (د. س. ن)، ص44 - 52.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

المطلب الثاني: تشجيع السلاطين للعلم والعلماء:

حرص حكام وسلاطين كل من الدويلات التي قامت ببلاد المغرب الأقصى على تنشيط ونمو الحركة الثقافية والعلمية وذلك من خلال تشجيعهم للعلم والعلماء والأدباء عن طريق الهبات والعطايا والهدايا، وذلك أنّ منهم من كان عالما وفقهيا وهذا ما ذكر ابن أبي زرع الفاسي عن إدريس الثاني¹ حاكم دولة الأدارسة سنة 188هـ إذ يقول: "إنّ الإمام إدريس رضي الله عنه لما كمل أحد عشرة سنة ظهر من ذكائه وعقله ونبله وفصاحته وبلاغته ما أذهل عقول العامة والخاصة".²

وذكر ابن خلدون أنّ أبا القاسم سمكو³ كان يخطب في عمله للمنصور والمهدي من بني العباس ممّا يدل على اهتمامهم بالشعر وأغراضه، أيضا سعيد بن واسلو كان من الأولياء المحدثين ومن حملة العلم الذي أخذ عن عكرمة مولى العباس.⁴

كذلك سلاطين المرابطين اهتموا بالعلم والعلماء وقربوا أهل العلم والفقهاء إليهم⁵ ويظهر ذلك من خلال ما ذكره ابن أبي زرع الفاسي عن اهتمام يوسف ابن تاشفين⁶ بالعلم والعلماء إذ يقول: "كان محبا للفقهاء والعلماء والصّالحاء مقربا لهم صادرا عن رأيهم

¹ ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص210-211.

² ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص10-11.

³ هو أبو القاسم سمكو بن واسلو بن أبي نزول(155هـ-167هـ / 771م-783م) صاحب ماشية كثيرة ينتج موضع سجلماسة ويتردد إليها وكان براجا، اجتمع معه قوم من الصفرية، وسكنو معه هناك في الخيام، بايع لعيسي بن يزيد وحمل قومه على طاعته فبايعوه من بعده؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص172.

⁴ المصدر نفسه، 172.

⁵ عبد الواحد المراكشي(ت:647هـ): وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسن مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ط1،

1997، ص39.

⁶ ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص245.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

مكرما لهم أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طول أيامه".¹ مما شجع على ازدياد عدد المحدثين والفقهاء في عهد المرابطين.

يذكر عبد الواحد المراكشي في كتابه وثائق المرابطين والموحدين أنّ علي بن يوسف بن تاشفين² كان واسع العلم ومكرما للكتاب ومن بين هؤلاء أبي عبد الله محمد ابن أبي الخصال، وأخيه أبي مروان.³

أما بالنسبة للموحدين في بداياتهم الأولى أثناء حكم ابن تومرت⁴ الذي ادّعى العصمة وأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد كان يظهر مالا يبطن وعمل على محاربة وقتال أهل العناد على طاعته، وكل عالم أو فقيه يجروا على نقد أعماله.

ويبدو أنّ محاربة ابن تومرت للفقهاء يعود إلى المكانة التي وصلوا لها في عهد المرابطين وسيطرتهم على زمام الأمور في الدولة.

ورغم ذلك تشير المصادر إلى أنّ الخلفاء الموحدين كانوا يولون رعايتهم للعلماء ودليل ذلك ما ذكره ابن أبي زرع الفاسي وعبد الواحد المراكشي أنّ يوسف بن عبد

¹ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 12؛ الناصري: المصدر السابق، ص 122.

² تولى المرابطين بعد وفاة أبيه بعهد منه وتسمى بأمر المسلمين سنة 500هـ/1106م، وملك من البلاد ما لم يملكه أبوه لأنه صادق البلاد ساكنة والأموال وافرة والرعايا آمنة بانقطاع الثوار واجتماع الكلمة وسلك طريق أبيه في جميع أموره واهتدى بهديه؛ ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج 4، ص 48؛ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي لسان الدين ابن الخطيب (ت: 776هـ): أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: سيد كشروي حسن، دار الكتاب العلمية، بيروت- لبنان، ج 2، ص 392؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 250-251.

³ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 54.

⁴ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 112-113؛ أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم المعروف بالزرکشي (ت: 794هـ): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضي، جامع الزيتونة، تونس، (د. س. ن)، ص 4-7؛ الناصري، المصدر السابق، ج 2، ص 76-77؛ ابن الخطيب: المصدر السابق، ج 2، ص 398.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ -9هـ / 8م -15م

المؤمن¹ قرب إليه العلماء والفقهاء، وبحث عنهم وخاصة أهل علم النظر، وكان ممن صحبه من العلماء المتقنين أبو بكر محمد بن طفيل من الفلاسفة المسلمين، وقد كان أمير المؤمنين أبا يعقوب شديد الشغف به.²

كذلك الخليفة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن أكرم الفقهاء وراعى الصلحاء والفضلاء وأجرى على أكثرهم الإنفاق من بيت المال.³

أيضا تتبع السلاطين المرينيين حكام الدويلات التي قامت قبلها بالمغرب الأقصى في العمل والحرص على تنشيط الحركة الثقافية بالبلاد وذلك من خلال تشجيع العلماء والعلم وإكرامهم. وعقدتهم مجالس للمناظرة ومجاورة الشعراء⁴ وتقريب الشعراء من العلماء والاختصاص بهم.⁵

يؤكد هذا الناصري في كتابه الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى في ذكره للسلطان يعقوب بن عبد الحق⁶ المريني بقوله: "كان مقربا للعلماء مكرما للصلحاء صادرا في أكثر أموره عن رأيهم".⁷

¹ هو يوسف بن عبد المؤمن ابن علي الكومي الموحدى لقبه المنصور، ولد سنة 555هـ كنيته أبو يوسف، بويغ له سنة 580هـ وهو أول من كتب العلامة بيده من ملوك الموحدين؛ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 205.

² عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 172.

³ المصدر نفسه، ص 193.

⁴ عبد الله كنون: النبوغ الفكري في الأدب العربي، ط 2، 1960، ج 1، ص 185.

⁵ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 308؛ الناصري: المصدر السابق، ج 3، ص 85.

⁶ هو يعقوب بن عبد الحق بن أبي بكر بن حمامة الزناتي المريني، ولد سنة 607هـ لقبه المنصور بالله بويغ له بالخلافة بعد وفاة أبيه بكر بثمانية أيام سنة 656هـ، وفتح مراكش وقطع أثر الموحدين وفتح درعة وسجلماسة وغيرها من مدن المغرب؛ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 297، أحمد ابن القاضي المكناسي (ت: 960هـ): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ج 1، ص 556.

⁷ الناصري: المصدر السابق، ج 3، ص 65.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

كما كان الأمير عبد الواحد محباً للآداب مقرباً لأهله يُجالس العلماء والأدباء والشعراء ويتخذهم بطانته، وقد خصص جماعة من الفقهاء لمجالسته ومنادمته كالقاضي يوسف ابن الحكم والفقير القاضي الكاتب البار علي المغيلي.¹

وشهدت الحركة الفكرية في العهد المريني نبوغ فكري وعلمي كبير وذلك راجع لكثرة اهتمام السلاطين بالجانب الثقافي والمعرفي وأيضاً تقربهم للعلماء والفقهاء ومجالستهم.

ومن ذلك أبا الحسن المريني² (732هـ-749هـ / 1348م-1331م) كان يختص بأهل العلم لمجالسته ومحاضراته ومشاورته، ومشاركته فيما يتقلده من الأمور الشرعية فكان أبر الناس بأهل العلم وأعرفهم بقدرهم، وكان يجمعهم من سائر بلاده في حضرته ويجعلهم من خواص أهل مجلسه.³

كان أبو الحسن المريني مرتبطاً كثيراً بأهل العلم حتى أنه كان يصطحبهم معه في غزواته: "ولمّا أراد أن يغزوا إفريقيا اصطحب معه عدداً كثيراً من العلماء كالفقيه الحافظ ابن عبد الله السطّي والأستاذ الزواوي".⁴

ساهم كذلك أبو عنان المريني⁵ في تنشيط الحركة الثقافية بالمغرب الأقصى، فقد كان ذا ثقافة واسعة ومتنوعة وكانت جهوده كبيرة في تشجيع الحياة الفكرية والعلمية، وكان

¹ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص308.

² أضخم ملوك بني مرين ملكاً عرف لدى العامة بالسلطان الأكل لأنه أسمر اللون، تولى الحكم بعد وفاة أبيه وأخذ له البيعة بفسطاطه؛ الناصري: المصدر السابق، ج 3، ص118.

³ محمد بن مرزوق التلمساني(ت: 781هـ): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح: ماريّا حيسو سبيغيرا، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981، ص110.

⁴ محمد بن الغازي المكناسي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، الرباط، 1952، ص16.

⁵ ابن الخطيب: المصدر السابق، ج2، ص18.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

مجلسه من أعظم المجالس العلمية والأدبية في عصره، وذلك لحرصه الشديد على أن يظم هذا المجلس أشهر الشخصيات الثقافية من فحول الشعراء وأنبغ الأدباء وسائر المثقفين، سواء من داخل المغرب الأقصى أو من خارجه من الأندلس بصفة خاصة كصاحب القلم الأعلى أبا القاسم بن يوسف بن رضوان وأبا الفضل القاسم ابن رضوان... إلى غير ذلك.¹

المطلب الثالث: دور المؤسسات العلمية والثقافية في تنشيط الحياة الثقافية.

تعددت المؤسسات الثقافية والعلمية والمراكز التعليمية في بلاد المغرب الأقصى ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م وذلك عبر مسار الدول التي نشأت بالبلاد في تلك الفترة.

فبالإضافة إلى اهتمام سلاطين وحكام تلك الدويلات بالعلم وأهله من الفقهاء والأدباء والعلماء وغيرهم، قاموا بإنشاء مؤسسات تعليمية وثقافية لتعليم وتشجيع الطلبة على تحصيل مختلف العلوم، والتفقه في علوم الدين وبالتالي تنشيط الحركة الثقافية وتطويرها بالمغرب الأقصى. وأبرز هذه المؤسسات ما يلي:

أولاً: الجوامع: والتي كانت مركزاً للإشعاع الثقافي والعلمي ببلاد المغرب الأقصى وأشهرها:

¹ ابن الحاج النميري: فيض العباب وإفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة: محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، الرباط، ط1، 1995، ص130 - 131.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ -9هـ / 8م -15م

1/ جامع الأشياخ: بناه إدريس الثاني سنة 192هـ قرب بئر وندشة بخطبة فيه وفي سنة 193هـ بني مسجداً آخر سماه جامع الأشرف وكان مقراً لتعليم علوم الدين.¹

2/ جامع القرويين:

موضعه بأرض بيضاء حازها رجل من هواره أيام بناء فاس كانت له امرأة سالحة اسمها فاطمة بنت محمد الفهري استقرت بفاس ولما توفي زوجها وأختها ترك لها ثروة طائلة أنفقتها على شراء أرض موضع القرويين وشيدت عليها مسجداً أطلقت عليه فيما بعد جامع القرويين²، وقد اتخذ مراحل في بناءه الأولى سنة 245هـ وكان أول خطيب به هو الشيخ الصالح أبو محمد عبد الله بن علي الفرسى، والثانية سنة 345هـ من الأمير أبو العباس أحمد بن أبي بكر، والثالثة سنة 375هـ³ ثم زيدت بعد ذلك مساحته في عهد المرابطين سنة 530هـ/1135م في عهد علي بن يوسف وذلك لكثرة الخلق فيقول في ذلك ابن أبي زرع: "فضاق الجامع بكثرة الخلق حتى كان الناس في أيام الجمعة يصلون في الأسواق والشوارع والطرق".⁴

كان هذا الجامع مركزاً لتتقيف المسلمين ومنه أصبح مؤسسة تلقى به الدروس بفضل طائفة من العلماء والأساتذة في علوم التفسير، والحديث والفقهاء وعلوم اللغة العربية حتى أضحى منذ ذلك مركزاً علمياً بارزاً،⁵ بحيث استقطب العلماء والطلاب من

¹ روجي لوطورنو: فاس قبل الحماية، تر: محمد حصي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1996، ج1، ص98-99.

² ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 29.

³ ابن القاضي: المصدر السابق، ج2، ص52؛ الناصري: المصدر السابق، ج1، ص76-77.

⁴ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص30.

⁵ محمد كمال شبانة: المدن الثقافية الإسلامية فاس، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط- المغرب، العدد: 253، أكتوبر 1985، ص88-89.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

معظم مساجد المغرب، وكان ملتقى فكري لعدد من الشيوخ الفقهاء الذين عاصروا المراحل الأولى من تاريخه.¹

3/ المسجد العتيق:

من أعظم مساجد سبتة صنع في شعبان سنة 408هـ/1017م الشيء الذي ميّزه عن غيره هو البلاط الأوسط الضخم البناء المرتفع السمك وبالمقصورة العربية الشكل، فكان يلتقي به أعلام سبتة والوافدين عليها.²

4/ الجامع الكبير بتازا:

بناه الخليفة الموحي عبد المؤمن بن علي³ ووسعه السلطان المريني أبو يعقوب وأصلحه ورممه السلطان أبو عنان ويعتبر من أجمل المساجد في شمال المغرب بعد القرويين بفاس.⁴

5/ الجامع الكبير بفاس:

نسب إلى السلطان أبي يوسف يعقوب الذي أمر ببنائه سنة 677هـ وهو مسجد مغربي أندلسي في هيئته، بني على يد أبي عبد الله بن عبد الكريم الحدودي وأبي علي

¹ ابن القاضي: المصدر السابق، ج2، ص54.

² محمد بن القاسم الأنصاري السبتي: اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تح: عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المغرب، ط2، 1403، ص28.

³ هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن يعلا بن مروان بن نصر بن عامر بن الأمير بن موسى بن عون الله بن يحيى ابن ورزيغ بن نقور بن عدنان، وهو زناتي الأصل وزعم الحكم سنة 524هـ وتوفي سنة 557هـ؛ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص183.

⁴ هوارية بكاي: العلاقات الزيانية المرينية ثقافيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008، ص132.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

ابن الأزرق من مال معصرة مكناسة، وكان أول خطيب به الفقيه محمد بن أبي زرع سنة 678هـ.¹

6/ جامع الحمراء: أنشأه السلطان الأحمر في عصر بني مرين في ق 8هـ/14م نسبة إلى المنارة الحمراء الواقعة بجانب المحجة الكبرى بفاس الجديد.²

ثانيا: المدارس:

لعبت المدارس دورا بارزا في تنشيط الحركة الثقافية في بلاد المغرب الأقصى وأهم هذه المدارس والتي تركت أثرا بالغا في نمو الحركة الفكرية والعلمية:

1- مدرسة الصفارين: أول مدرسة شيدت واقعة بين جامع القرويين والوادي ونمط دكاكين الصفارين مؤسسها أبو يوسف مؤسس فاس³

2- مدرسة دار المخزن: أسسها السلطان أبو سعيد عثمان⁴ سنة 720هـ/1320م بجوار

الجامع الجديد بفاس الجديد، وفي السنة الموالية عزم ولي العهد أبو الحسن على بناء مدرسة تالفة بالقرب من جامع الأندلس، وقد كانت هذه المدرسة أكثر سعة وأحسن من سابقتها مؤلفة بنايتين الأولى أطلق عليها المدرسة الكبرى والمدرسة الصغرى ثم سميت

¹ علي ابن زرع الفاسي: الدخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص162؛ الناصري: المصدر السابق، ج3، ص89.

² روجي لوطورنو: المرجع السابق، ص98-99.

³ المرجع نفسه، ص105.

⁴ هو عثمان أمير المسلمين المنصور بالله ابن أمير المسلمين المنصور بالله القائم بالحق يعقوب بن عبد الحق كنيته أبو سعيد ولقبه السعيد بفضل الله ولد سنة 675هـ، ببيع له بالخلافة سنة 710هـ وتوفي سنة 731هـ؛ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص395-396؛ ابن الفرضي (ت: 403هـ): تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2008، ج2، ص456؛ الناصري: المصدر السابق، ج3، ص103.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

الأولى مدرسة الصهريج¹ لأن صهريجا كان يحتل الوسط، ثم سميت الأخرى مدرسة السبعين نسبة إلى القراءات السبع، وفي سنة 723هـ/1323م أمر أبوسعيد عثمان بفتح ورش لبناء مدرسة رابعة بجامع القرويين في مدخل سوق العطارين وحملت اسم مدرسة العطارين و تم بناؤها سنة 725هـ.

3- المدرسة البوعنانية: أشادها أبوعنان تعني اللامركزية الفكرية بفاس، وقد شكلت هذه المدارس إطار لتأملات العلماء و أحلام الصبا لطلبة فاس.²

ثالثا: الخزائن العلمية:

بالنسبة لهذه الخزائن فلم تحضرنا روايات تاريخية حولها في القرون الأولى وما تم تدوينه لنا كان إلا في عهد الدولة المرينية وأهمها:

- أ- خزانة الشيخ علي الشاري: أول خزانة وقفت بالمغرب على أهل العلم.³
- ب- خزانة القرويين: أسسها السلطان المريني أبو عنان خاصة بجميع الكتب ويدخل إليها من أعلا المستودع بالجامع، يقول الجزنائي في ذلك: " صنع هذه الخزانة وأوسع طلبية العلم بأن أخرج لها من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأديان، والأبدان والأذهان واللسان وغير ذلك من العلوم على اختلافها، وشتى ضرورها وأجناسها ووقفها ابتغاء الزلفى ورجاء ثواب الله الأوفى، وعين لها فيها لضبطها ومناولة ما فيها وأجرى على ذلك جناية وأفاده مكرمة وعناية وذلك سنة 750هـ".⁴

¹ ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 112.

² الناصري: المصدر السابق، ج 3، ص 112.

³ الأنصاري: المصدر السابق، ص 29.

⁴ علي الجزنائي: جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط 2،

1411هـ - 1991م، ص 76.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ -9هـ / 8م -15م

وأسس أيضا أبو عنان في هذا الجامع خزانة خاصة بالمصاحف وذلك لتسهيل قراءة القرآن وتلاوته لمن أراد ذلك في أي وقت؛ يقول الجزنائي: "أعد فيها حملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط البهية الجميلة السنية وأباحها لمن أراد القراءة فيها بعد أن كتب بخط يده بتوقيفها مدى الأعوام والليالي والأيام.."¹.

وقام السلطان أبو الحسن بتوقيف ثلاث مصاحف مكتوبة بخطه على المساجد الثلاثة المقدسة، جمع القراء الخطاطين النقاشين ثم أرسلها وقفا إلى مسجد مكة والمدينة وبيت المقدس.²

وباقى هذه الخزائن مفترق منها بالمدرسة الجديدة خزانتان وبمسجد القفال خزانة واحدة ومسجد مقبرة زكلو أخرص، وهو أكبر مساجد سبتة بعد المسجد الجامع الأعظم وأخرى بجامع الريض الأسفل.³

المطلب الثالث: تأثير التمازج الثقافي بين المغرب الأقصى والحوضر المجاورة له:

لعب علماء المشرق والأندلس والمغرب الأوسط دورا بارزا في تنشيط الحركة الثقافية بالمغرب الأقصى وذلك من خلال تبادل النشاطات العلمية والفكرية بين مختلف هذه الأقاليم، عن طريق الرحلات العلمية التي كانت تجوب مختلف أقطار المغرب الإسلامي والأندلس، سواء من المغرب الأقصى إلى المغرب الأوسط والأندلس والمشرق أول العكس بهدف توسيع معارفهم والالتقاء بالمشايخ المقيمين بها.

شهد المغرب الأقصى في القرون الأولى من عهد بني مدرار بسجل ماسة وفود علماء من المغرب الأوسط والمشرق والأندلس خاصة الإباضيين وذلك للعلاقة التي كانت

¹ علي الجزنائي: المصدر السابق، ص76.

² عبد الله كنون: المرجع السابق، ص186.

³ الأنصاري: المصدر السابق، ص30.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

بين الرستوميين وبنو مدرار، ويذكر ابن خلدون أنه كانت علاقات ودية بين الرستوميين وبنو مدرار بحكم علاقة المصاهرة بين عبد الرحمان بن رستم واليسع أبي القاسم أمير سجلماسة ابنه مدرار بابنته أروى.¹

فكان علماء المغرب الأوسط يقصدون المغرب الأقصى بحكم القرابة بينهما وكذلك نشر دعوتهم هناك، ومن بينهم ابن الجمعي من بلاد المشرق دخل سجلماسة لنشر العلم والدعوة الإباضية مطلعاً على علوم النظر.²

كذلك ابن الربيع وابن كيدان تتلمذا على يد ابن الجمعي قرأ العلوم وتفقها ببلد سجلماسة على شيخهما ولما توفي هذا الأخير آثار أبا الربيع بديوانه فأوصى له به.³

أيضاً من بين العلماء الذين وفدوا إلى سجلماسة أبو القاسم يزيد بن مخلد وأبي خزر برعا في العلوم وكان شيخهما الذي أخذوا عنه الأدب وعلم اللسان وعلم الفروع هو أبا الربيع سليمان بن زرقون النفوسى رحمه الله، وقد أخذ علم الأصول عن سحنون بن أبي أيوب.⁴

كما أنه هناك علماء من سجلماسة رحلوا في طلب العلم إلى المشرق والأندلس؛ يذكر ابن بشكوال أنّ عيسى بن سعادة الزاهد الفقيه الذي يكنى أبا موسى كان من كبار

¹ ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص192.

² أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت670هـ): طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البحث، الجزائر، (د.س.ن)، ج1، ص109.

³ المصدر نفسه، ص109.

⁴ أبي زكريا يحيى بن أبي بكر (ت471هـ): سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1979، ص205-206؛ الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص120.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

أهل العلم وفضلائهم بسجل ماسة له رواية بالأندلس عن أبي إبراهيم إسحاق ، ثم رحل إلى المشرق وصحب معه أبا الحسن القاسبي وأبا محمد الأصيلي.¹

وفي عهد المرابطين يعتبر عبد الله بن ياسين من بين الأوائل الذين رحلوا للأندلس للاستفادة من علومها² وهذا ما أكده ابن عذارى المراكشي إذ يقول: " وكان عبد الله بن ياسين قد دخل بلاد الأندلس في دولة ملوك الطوائف فأقام بها سبعة أعوام وحصل فيها علوم كثيرة".³

عمل الأمراء والولاة المرابطين على الترحيب بالعلماء والأدباء الأندلسيين وقربوهم منهم، وجعلوا منهم قضاة ووزراء وكتاب وغير ذلك من مناصب الدولة المختلفة، كذلك هجرة الكثير من العلماء فرارا من المعارك الطاحنة التي شهدتها منطقة الأندلس خلال حكم المرابطين والموحدين ضد الفرنجة، مما دفعهم للانتقال إلى المدن المغربية من أجل الاستقرار ونذكر من بينهم ابن جبير (540هـ-614هـ / 1145م-1217م).⁴

إنّ الانفتاح الأندلسي على المغرب جعل من ثقافتها المتنوعة تندفق على المغرب الأقصى مما جعل من أبناء المغرب ينتقلون إليها لينهلوا من علومها المختلفة.⁵

لم تقتصر صلة المغرب الأقصى بالأندلس فقط بل كانت لهم صلة وثيقة مع المشرق حيث ارتحل أبناء المغرب الأقصى إلى المشرق وأخذوا عن علومهم وتأثروا

¹ ابن بشكوال (ت 578هـ): الصلة، تح: إبراهيم الأباري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د. س. ن) ج 2، ص 640-641.

² حسين علي حسن: المرجع السابق، ص 445.

³ ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج 4، ص 10.

⁴ ابن الخطيب: المصدر السابق، ج 2، ص 230، ابن القاضي: المصدر السابق، ج 1، ص 277.

⁵ حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 446.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

بحضارتهم، وبعد ابن تومرت الموحي من المغربية الذين رحلوا إلى المشرق وتنقلوا بين حواضره وأخذوا عن مشايخه وفي هذا يقول أبي زرع الفاسي: " ارتحل إلى المشرق لطلب العلم فرأى مشايخ وسمع منهم وأخذ عنهم علما كثيرا".¹

هذا التّمازج بين المغرب والأندلس والمشرق خلف تنافسا بينهم في تحصيل العلوم وهذا ما ساهم في إثراء الحياة الفكرية والأدبية والعلمية ودفع إلى تدوين الكثير من المؤلفات وبفضل هذا تشعبت فنون المعرفة وكثر العلماء في كل فن.

أما بالنسبة للدولة المرينية فقد شهدت رحلات علمية كثيرة سواء من علمائها الذين رحلوا إلى مختلف حواضر المغرب الإسلامي أو الأندلس أو علماء وفدوا إليها من مختلف أقطار المغرب وذلك لما وصلت إليه من نبوغ فكري وتطور ثقافي شهدته فاس في هذا العصر.

فهناك من رحل إلى المغرب الأقصى طلبا في العلم وهناك من رحل هروبا من أوضاع السياسة المتوترة وهناك من وفدوا باستدعاء من السلطان الدولة المرينية ومنهم:

1- ابن خميس التلمساني (650هـ-708هـ) كان كاتباً للسلطان عثمان بن يغمراسن (681هـ-703هـ) رحل إلى المغرب الأقصى بسبب فجوة حصلت بينه وبين السلطان الزياني فرحبت به الدولة المرينية²

¹ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص172.

² الحافظ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي(ت: 911هـ): بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفاضل إبراهيم، ط1، 1384هـ / 1964م/ ج1، ص20.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

2- الشيخ الأبلي (681هـ / 757هـ) فر إلى المغرب الأقصى نتيجة ضغط السلطان عليه أبو حمو موسى (721هـ - 818هـ) نزل بفاس وبقي هناك إلى أن توفي 727هـ- 1356م¹،

ومن العلماء الذين رحلوا إلى المغرب الأقصى باستدعاء من السلطان المريني محمد بن محمد المقري القرشي التلمساني (ت 759هـ) اختفى به السلطان المريني أبو عنان (749هـ-759هـ).²

كذلك أبو الحسن المريني (732هـ-749هـ) اصطحب ابني الإمام وجعلهما ضمن مجلسه العلمي.³

ومن علماء المغرب الأقصى الذين رحلوا إلى الأندلس وإلى مركزها الثقافية غرناطة" محمد بن نجي العرفي اللّخمي السبتي"، من أهل سبتة يكنى أبا القاسم من رؤسائها ببيع سنة 719هـ، وخلع في 720هـ، انتقل إلى غرناطة بعدها نظر في الطب ودون فيه، انتقل إلى فاس استعمل بها في الخطط الفقهية توفي سنة 768.⁴

القاضي محمد بن علي الجزولي: ابن الحاج من قضاة فاس المعروف ابن الحاج يكنى أبا عبد الله، أحد أعلام المغرب تفننا في المعارف وعقلا صبورا على الرحلة خطيبا بليغا مفتيا رحل إلى المشرق ولقي أعلامها ودخل الأندلس وأقام بمالقة زمانا وروي عن

¹ ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص513-514.

² ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص298-299.

³ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص517.

⁴ ابن القاضي: مصدر سابق، ج1، ص303.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

أشياخها، وصحب بها الخطيب المدرسي أبا عثمان بن عيسى الحميري ثم عاد إلى وطنه تولى خطة القضاء بفاس.¹

المبحث الثاني: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في إفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

كان للإسلام الفضل الكبير في النمو الثقافي والنبوغ الفكري الذي سجلته بلاد إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي) خاصة ما بين القرنين 4هـ - 9هـ / 10م - 15م، مما نتج عنه انتشار الثقافة العربية الإسلامية ونشوء حواضر علمية ثقافية إسلامية كبرى والتي سيرد ذكرها بالتفصيل في الفصل الثاني.

ويرجع هذا التطور العلمي والثقافي الذي شهدته بلاد إفريقيا جنوب الصحراء في الفترة المدروسة إلى مجموعة من العوامل أهمها:

المطلب الأول: دور التجار في ازدهار الحياة الثقافية بإفريقيا جنوب الصحراء

لم يقتصر عمل التجار المسلمين على التجارة فحسب بل كانوا دعاة ومعلمين فقد هيأت لهم طبيعة عملهم التي تقتضي التجوال في مختلف الأماكن سعياً وراء البيع والشراء أن يحملوا الإسلام والثقافة العربية إلى شتى بقاع إفريقيا جنوب الصحراء.²

¹ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي (ت: 793هـ): تاريخ قضاة الأندلس، تح: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980، ص 137.

² سيرتوماس أربوند: الدعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970، ص 391.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

فقد ذكرت العديد من المصادر عن وصول التجار المغاربة إلى إفريقيا جنوب الصحراء؛ إذ يقول ابن خلدون: "وارتحل إلى بلادهم التجار من بلاد المغرب وإفريقية".¹

عمل التجار على جلب العلماء والفقهاء معهم إلى بلاد إفريقيا جنوب الصحراء ليتولوا تعليم الناس أمور دينهم، فقد كانت غالبية التجار لا تجيد الفقه والفكر الإسلامي ما جعلهم يستقدمون هؤلاء معهم لتثقيف الناس، كما قام بعضهم ببناء المدارس والمساجد والكثير من المؤسسات التعليمية، وتشجيع الأهالي على الاستزادة من العلوم الإسلامية وكثيرا ما كانوا يرسلون الطلاب المميزين والأفذاذ إلى المعاهد الإسلامية الكبرى الشهيرة في المشرق العربي، أو في الشمال الإفريقي على أيدي علماء الأزهر ومكة والقيروان والزيتونة وطرابلس وفاس ومكناس وغيرها من المؤسسات الإسلامية ويعودوا قادة للفكر في هذه البقاع.²

إنّ قدوم عدد كبير من التجار والفقهاء والدعاة المسلمين إلى إفريقيا جنوب الصحراء بعث نشاطا ثقافيا عظيما، حيث قام هؤلاء بالتفاف حول الملوك والأمراء فحببوا إليهم الدين الإسلامي، وكانوا هؤلاء في حاشية السلطان منسى موسى وسليمان ما يفسر إيمان بعض الملوك في غانة ومالي بالدين الإسلامي قبل أن يعتنقه سواد الشعب.³

¹ ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص267.

² عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في غرب إفريقيا وجنوب الصحراء، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، 1998، ص105.

³ نعيم قداح، عمر الحكيم: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص134.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ -9هـ / 8م -15م

وذكر العمري عن إسلام السلطان منسى موسى فقال: "... هذا السلطان موسى كان متدينا محافظا على الصلاة والقراءة والذكر".¹

وما يؤكد اعتناق ملوك إفريقيا جنوب الصحراء للإسلام محاربتهم للوثنية وهذا ما قام به السلطان منسى موسى صاحب مالي والسلطان محمد الحاج صاحب غاؤ.²

المطلب الثاني: دور العلماء والفقهاء في نمو الحياة الثقافية

كان لجهود العلماء بإفريقيا جنوب الصحراء الأثر البالغ في نمو الحركة الفكرية والثقافية خاصة مالي، تنبكتو، جني، وقد كان أكثرهم مغاربة وكانوا يتولون معظم المراكز السياسية والدينية، وكذلك حظي هؤلاء العلماء والفقهاء بمنزلة رفيعة لدى السلاطين وكانوا من المقربين إليهم.³

ذكر العديد من المؤرخين وجود العلماء والفقهاء بكثرة في تنبكتو؛ فيقول الحسن الوزان: "وفي تنبكتو عدد كثير من القضاة والفقهاء والأئمة يدفع الملك إليهم جميعا مرتبا حسنا ويعظم الأدباء كثيرا".⁴

¹ ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت749هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2010، ج4، ص55.

² نعيم قداح: المرجع السابق، ص134.

³ سحر عنتر محمد أحمد مرجان: فقهاء المالكية وأثرهم في مجتمع السودان الغربي في عهد مملكتي مالي والسنغاي (628هـ - 1000هـ / 1230م - 1591م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 2011م، ص136.

⁴ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص167.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

ويقول السعدي عن كثرة وجود العلماء بمالي: "... هي مأوى العلماء والعابدين ومآلف الأولياء والزاهدين".¹

كان فقهاء المالكية أكثر حضوراً في إفريقيا جنوب الصحراء خاصة مالي والسنغالي، فاتخذوا مناصب مختلفة في الدولة سواء في المجال السياسي الاجتماعي أو الثقافي كالقضاء والإمامة والخطبة.²

ومن بين أهم العلماء المغاربة في إفريقيا جنوب الصحراء نذكر:

أ- عبد القادر علي بن يوسف الفاسي:

فقيه من المغرب الأقصى اتجه إلى إفريقيا جنوب الصحراء بتبكتو، منح شهادة التعليم في صحيح البخاري وغيره،³ وله عقيدة في التوحيد ومقدمة في الإسلام الخمسة في ريع العبادات، وله النوازل المشهورة بنوازل الفاسي وله تكميل المرام في شرح شواهد ابن هشام.⁴

¹ عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي: تاريخ السودان، مطبعة بردين، مدينة أنحي، (د. س. ن)، ص 20.

² سحر عنتر: المرجع السابق، ص 136.

³ الهادي المبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13م-15م، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط 1، 2001، ص 151.

⁴ أبي عبيد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار العرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1981، ص 151.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ -9هـ / 8م -15م

ب- إبراهيم الخضر:

عالم من علماء فاس توجه إلى تنبكتو وسكن في حوض الجامع الكبير على جهة اليمين، عمل كاتب للسلطان وأمر بقتله وانتزاع جميع أماله منه، لكنه استرجع منصبه فيما بعد وأمواله وعاش في فترة أسكيا محمد.¹

ت- أبو القاسم التواتي:

عالم من علماء توات اتجه إلى تنبكتو وسكن في جوار المسجد الجامع من جهة القبلة، كان الأسكيا محمد يطلب منه دعائه ويصلي خلفه، قام ببناء المقبرة الكبيرة بتنبكتو، توفي سنة 935هـ وكان في زمانه يوجد 50 عالما بتنبكتو.²

كذلك أنجبت بطون إفريقيا جنوب الصحراء من تنبكتو مالي جني إلى غير ذلك نخبة من العلماء والفقهاء والقضاة الذين تركوا أثرا بالغا في تنشيط الحركة الفكرية والعلمية بالبلاد، ودليل ذلك ما ذكره الحسن الوزان عن وجود العلماء بتنبكتو والسعدي في وصفه مالي وهذا ما أشرنا إليه سابقا ونذكر من أهم هؤلاء العلماء والفقهاء:

أ- **الفقيه الحاج:** جد القاضي عبد الرحمان بن أبي بكر بن الحاج تولى القضاء بتنبكتو أواخر دولة أهل ملّي وأول من أمر الناس بقراءة نصف حزب من القرآن من جامع سنكري بعد صلاة العصر والعشاء.³

ب- **الفقيه عبد الرحمان:** فقيه سوداني كان قاضيا في بنياني أيام منسى سليمان.⁴

¹ السعدي: المصدر السابق، ص68.

² البرتلي: المصدر السابق، ص88.

³ السعدي: المصدر السابق، ص28.

⁴ أحمد شكري: الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230 - 1430م، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط1، 1999، ص218.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

- ت- الفقيه العالم القاضي محمد الكابري: عالم من علماء تنبكتو عاصر الفقيه عبد الرحمان التميمي الذي جلبه منسى موسى من الحجاز.¹
- ث- الفقيه محمد ساقو الونكري: كان عالما فقيها صالحا سكن جني أواخر القرن 9هـ/15م زاول تعليمه بقرية طورا بالقرب من جني.²
- ج- القاضي العباس: من قرية جنوي فقيه عالما جليلا فاضلا.³
- ح- القاضي محمود بن أبي بكر: فقيه عالما جليلا، تولى القضاء بعد وفاة القاضي العباس.⁴

المطلب الثالث: تشجيع السلاطين للعلم والعلماء.

عمل سلاطين وملوك إفريقيا جنوب الصحراء على تشجيع العلم والعلماء وكذلك تشجيع الطلبة على التعليم وإرسالهم إلى مختلف حواضر العالم الإسلامي، ومن السلاطين الذين أثروا بصفة كبيرة في الحياة الثقافية نذكر منهم:

منسى موسمملك مملكة مالي سنة 1307 واشتهر باسم موسى الأسود⁵ والذي ذكرته المصادر على أنه من أعظم ملوك إفريقيا جنوب الصحراء وأكثرهم شهرة،⁶

¹ السعدي: المصدر السابق، ص47؛ البرتلي: المصدر السابق، ص107.

² المصدر نفسه، ص18.

³ السعدي: المصدر السابق، ص19.

⁴ المصدر نفسه، ص19.

⁵ جوان جوزيف: الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر: مختار السوفي، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1984، ص72.

⁶ الناصري: المصدر السابق، ج3، ص151.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

ومما زاد شهرته رحلته إلى الحج سنة 726هـ / 1325م والتي كان لها أثر بالغ على نمو الحركة الفكرية والعلمية ببلده.¹

عمل منسى موسى على تشجيع ونشر التعليم لدى الأفارقة وذلك من خلال استقدامه للفقهاء والمعلمين إلى بلاده خاصة من بلاد المغرب والمشرق العربي، فأقبل عليهم أهل مالي يتعلمون ويدرسون الفقه والسنة² ومن بينهم الفقيه عبد الرحمن التميمي الحجازي.³

بفضل مجهودات منسى موسى لدعم العلم والتعليم كثر الفقهاء والعلماء والأئمة في بلده وأصبح طلبة مالي على درجة كبيرة من العلم والمعرفة، وسجلت تطورا ملحوظا أشاد به العديد من العلماء.⁴

كذلك كان للسلطان منسى سليمان دورا بارزا في نمو الحركة العلمية والثقافية وذلك من خلال نشره للتعليم والثقافة العربية الإسلامية، فقام بتقريب العلماء والفقهاء والأئمة والقضاة منه، وشيد المساجد والجوامع والمنارات وعين فيها عدد من الأئمة والخطباء والفقهاء، وأقام الجمع والجماعات والآذان وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه وتفقّه في الدين.⁵

¹ تقي الدين أحمد بن علي المقرئ: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تح: جمال الدين النبال، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2000، ص140.

² سحر عنتر: المرجع السابق، ص234.

³ السعدي: المصدر السابق، ص51.

⁴ باهية أمينة، كلثوم برداد: التعليم العربي الإسلامي في غرب إفريقيا من القرن 8 إلى القرن 10هـ / 14-16م، مذكرة ماستر، جامعة الجليلي، بونعامة خميس مليانة، 2015-2016، ص52.

⁵ أبي العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ج5، ص297.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

كما قام السلطان أسكيا محمد حاكم سنغاي بتشجيع العلم فكان محبا للعلم واستدعى الكثير من العلماء من المغرب والمشرق الإسلاميين أثناء حجه عام 889هـ، ومن العلماء الذين اصطحبهم معه الشريف أحمد الصقلي وكاتبه علي بن عبد الله واشترى في مكة والمدينة جنبا وبيوتا حبسها أوقافا لصرف ريعها على الفقر والعلماء وطلبة العلم الذين انقطعوا للدراسة من الوافدين من إفريقيا جنوب الصحراء.¹

يقول السعدي في ذلك: "أنه اشترى جنانا في المدينة وحبسها على أهل تكرور وهي معرفة هناك".²

المطلب الرابع: دور المؤسسات الثقافية في نمو الحركة العلمية والفكرية بإفريقيا جنوب الصحراء

تعددت المؤسسات الثقافية بإفريقيا جنوب الصحراء والتي من بعض مدنها مركزا ثقافيا كجني وتنبتكو ومالي، غانة وسنغاي، وجعلتها بؤرة تشع منها الثقافة العربية الإسلامية، مما أثرت على النمو العلمي والفكري بالبلاد وتمثلت هذه المؤسسات فيما يلي:

أولا: المساجد

عرفت هته المساجد بمنارات العلم والعبادة حيث عملت على تدريس وتعليم طلاب العلم، وكانت موجودة بكثرة بإفريقيا جنوب الصحراء وما يدل على ذلك قول الحسن الوزان: "ولهم مساجد كثيرة وأئمة وأساتذة يدرسون في المساجد لعدم وجود المدارس".³

¹ محمد سعيد القشطاط: أعلام من الصحراء، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1، 1997، ص168.

² السعدي: المصدر السابق، ص73.

³ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص164.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ -9هـ / 8م -15م

وكان يعين لكل مسجد إمام ونائبه وخطيب ومؤذن يشرف عليه، وقد بدأت عملية بناء المساجد في إفريقيا جنوب الصحراء مع انتشار الإسلام، فقد تحدث البكري عن مساجد غانة فقال: "ومدينة غانة مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجد أولها الأئمة والمؤذنون والراتبون وفيها فقهاء وحملة علم".¹

1- مساجد تنبكتو

احتوت تنبكتو على ثلاث مساجد (المسجد الجامع الكبير، مسجد سنكري، مسجد سيدي يحي) فقد أصبحت هذه المساجد بمثابة جامعات ومعاهد تعليمية كبرى ومراكز ثقافية وتربوية.²

أ- جامع سنكري:

كان هذا الجامع يتصدر منارات العلم والعبادة، وقد ذكر السعدي أنّ الذي قام ببنائه امرأة غلالية ذات مال كثيرة في أفعال الخير.³

تم بناءه في عهد القاضي العاقب ابن القاضي محمود من أبناء القرن 8هـ / 14م وقد بلغ أوج ازدهاره في عهد إمبراطورية سنغاي زمن الأسكيا الحاج محمد الكبير.⁴

¹ البكري: المصدر السابق، ص175.

² مبخوث بوداوية: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، 2005-2006، ص191.

³ السعدي: المصدر السابق، ص62-63.

⁴ مبخوث بوداوية: المرجع السابق، ص192.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

كما بلغ مستوى علمي راق وأضفى على مدينة تنبكتو طابعا مميزا فجعلها عاصمة الدين والعلم والأدب بالسودان الغربي.¹

اشتهر هذا الجامع بما وصل إليه من مستوى علمي، وانفتح على العديد من مراكز العلم في الأندلس والشمال الإفريقي (فاس، مراكش، بجاية، تونس، طرابلس) وغيرها من مراكز الحضارة.²

كان هذا الجامع يشبه جامع القرويين بفاس في التدريس وأساليبه وفي المناهج التي كانت تدرس في فاس وتنبكتو، وقد توافد منها الطلاب إلى فاس من أجل التزويد بالعلموما رحيل القاضي كاتب موسى إلى مدينة فاس لتعلم العلم في عهد مملكة مالي الإسلامية بأمر من السلطان موسى إلاّ دليل على الامتزاج الحضاري بين هذه المنارة ونظراتها بالشمال الإفريقي.³

وقام السلطان بإحضار نوادر الكتب من مصر والحجاز ومن الأقطار التي مرّ بها إلى هذه الجامعة ثم أنفق جزءا من أموال مملكته على شراء الكتب.⁴

ب- المسجد الكبير (جينيكري بييري)

تم بناء هذا الجامع من قبل السلطان منسى موسى (707هـ - 733هـ / 1312-1337م) بعد رجوعه من الحج تم بناءه من قبل المهندس أبو إسحاق الساحلي وعبد الله الكومي الموحدى الغادمسي على الطراز المغربي كان صغيرا في بدايته تم تطور، وكان

¹الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص105.

²المرجع نفسه، ص107.

³السعدي: المصدر السابق، ص57.

⁴الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص107.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

هذا موقع ممتاز يتوسط المدينة وأول مسجد بناه السلطان.¹ وقد ألحقت بهذا المسجد قبورهم من جهة اليمين والمغرب وتلك عادة السودان فهم يدفنون موتاهم في رحاب مساجدهم.²

وعند تجديد الفقيه القاضي العاقب بن القاضي محمود بناءها خربها وسواها مع جميع القبور بالأرض من كل جهة، وقد تم تولية إمامته الفقهاء السودانيون كانوا أئمة فيها فيها في دولة أهل ملّى، وفي طائفة من دولة التوارق، وآخر الأئمة الفقيه القاضي كاتب موسى مكث 40 سنة في الإمامة.³

ت - مسجد سيدي يحيى: يعد هذا المسجد أول مسجد بني في تنبكتو بناه ملك مقشرن قبل عهد السلطان منسى موسى، وقد تم تخريبه فيها بعد ولم يبقى سوى موضعه الذي بني فيه ويقال أنّ هذا المسجد بني على ضريح رجل من العلماء الصالحين قدم من المغرب الأقصى اسمه سيدي يحيى، أسند إمامته إلى شيخ سيدي يحيى سنة 868هـ/ 1462م تم تجديده في عهد محمد نضي الذي حكم تنبكتو، ثم جدد بناءه سنة 976هـ/ 1568م.⁴

ث - مسجد أسقيا الحاج محمد:

تم بناءه من قبل الأسقيا الحاج محمد ويعد من أكبر المساجد بالمدينة ميزته صومعته الطويلة عن غيره، وقد اعتنى به السلطان أيما عناية وجعله مؤسسة تعليمية،

¹ الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص 104.

² ميخوث بوداوية: المرجع السابق، ص 195.

³ السعدي: المصدر السابق، ص 57.

⁴ المصدر نفسه، ص 62.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

وهو مبني بالطين ومسقوف بالخشب ويختلف في طرازه المعماري عن مساجد تنبكتو وجني، فالمئذنة مفصولة عن المسجد ومكان الصلاة عبارة عن بناء طويل.¹

ج- مسجد جني: تم بناءه من قبل أحد المغاربة يدعى معلوم إدريس الذي كان معاصر الساحلي الذي على بناء مسجد سنكري، وأضحى هذا المسجد مركزا لامعا للعلم ولتعليم الفقهاء.

ح- مسجد غاؤ: كان بمثابة مركزا للتعليم، فقد كان العرب المسلمين يشرفون عليه.²

¹مبخوث بوداوية: المرجع السابق، ص196.

² المرجع نفسه، ص198-199.

الفصل الثاني: عوامل تمكين الروابط الثقافية بين بلاد

المغرب الأقصى وبلاد إفريقيا جنوب الصحراء ما بين

القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م

المبحث الأول: المسالك والمراكز الثقافية والتجارية

المبحث الثاني: الرحلات العلمية والحجّية

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصّلة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

المبحث الأول: المسالك والمراكز الثقافية والتجارية

المطلب الأول: الطرق والمسالك التجارية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء

ارتبطت بلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأقصى خاصة بإفريقيا جنوب الصحراء عبر مسالك عديدة اتخذها التجار ممراً للتنقل بين المنطقتين من أجل ممارسة التجارة، ونقل البضائع والسلع التجاريّة من المغرب الأقصى إلى بلاد السودان الغربي والعكس.

وقد تطورت هذه الطرق التجاريّة بمرور الزمن والتّقدم الحضاري العربي الإسلامي وانتشار الثقافة العربية في المنطقة، واختلفت أهميتها حسب الظروف السياسية والاقتصادية للمنطقتين.¹

كما لعبت الطرق التجاريّة دوراً كبيراً وهاماً في تاريخ المنطقتين فقد تم عبرها التبادل التجاري منذ أقدم العصور، حيث سهلت عملية التّواصل بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء مما ساعد على نشر الثقافة العربية الإسلامية وأهم هذه الطرق ما يلي:

أولاً: طريق أقصى الغرب على ساحل المحيط الأطلسي:

يخرج هذا الطريق من منطقة أوليل ثم يتجه شمالاً مع الساحل في ديار قبيلة جدالة ثم ديار قبيلة لمتونة وتقطع القوافل هذه الرحلة في شهرين حتى تدخل مدينة نول ثم إلى وادي السوس في ثلاث مراحل تقطعها في أرض قبيلة جزولة ولمطة.²

¹ إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص78.

² أحمد الياس: طرق القوافل عبر الصحراء والممالك الإفريقية جنوبي الصحراء الكبرى في المصادر العربية في قرن 6هـ / 12م، مجلة الدراسات الإفريقية، عدد:2، شعبان 1406هـ/ أبريل 1986، ص107.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصّلة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

ثانيا: طريق تادمكة أودغست :

يحتوي هذا الطريق في بدايته على ثلاث آبار حفرها عبد الرحمان بن حبيب فقد شهد هذا الطريق نشاطا ملحوظا منذ عهد الأدارسة الذين استطاعوا السيطرة على المنطقة وحتى زاغة على نهر النيجر، والملاحظ على هذا الطريق كثرة وجود الماء.¹

وقد ذكر البكري ثلاثة عشر موضعا للمياه كلها عذبة وقريبة من السطح وفي بعض الحالات يوجد الماء على بعد ذراعين.²

ثالثا: طريق وادي درعة إلى بلاد السودان

تتجه القوافل جنوبا وتصل بعد 5 مراحل إلى وادي ترجا ومسافة هذا الطريق أقل من شهر على أرض صنهاجة حتى يصل إلى مملكة غانا.³

لم يذكر لنا البكري تفاصيل كثيرة عن هذا الطريق؛ يقول: " ثم تمشي في الصحراء فنجد الماء على اليومين والثلاثة".⁴

وذكر بعض الآبار التي توضح أن الطريق لا يعاني من الجفاف الشديد وأكبر مساحة دون ماء على الطريق هي المجابة الكبرى حيث لا يوجد ماء بها لمدة ثمانية أيام ويمر الطريق بقبائل لمتونة وقاعدتهم أرقى.⁵

¹ الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا في ما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18م، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة- مصر، ط1، 1999، ص314.

² البكري: المصدر السابق، ص156-157.

³ أحمد محمد الجهمي : العلاقات التجارية بين مملكة غانة وبلاد المغرب فيما بين القرنين 3 و5هـ / 9-11م، جامعة عمر المختار، كلية الآداب والعلوم، ص4-5.

⁴ البكري: المصدر السابق، ص163-164.

⁵ الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا في ما وراء الصحراء، ص315-316.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصلابة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

رابعاً: طريق سجلماسة إلى أودغست و إلى غانة

المعلومات عن هذا الطريق مقتضبة غير أن البكري يوضح أنّ القوافل تسير مسيرة شهرين على الطريق في صحراء غير عامرة إلاّ يقوم طاغين ولا تظمن لهم منزل، كما أشار أنّ سجلماسة ترتبط عبر الصحراء جنوباً بطرق مختلفة ومنها تمر على تادمكة ثم تواصل على طريقها إلى أودغست.¹

وأشار ابن حوقل أيضاً طريق من سجلماسة إلى أودغست بقوله: "ومن سجلماسة إلى أودغست شهران على شمس المغرب فتقع منحرفة محاذة عن السوس الأقصى كأنهما مع سجلماسة مثلث طويل الساقين أقصر أضلاعه من السوس إلى أودغست ومن أودغست إلى غانة بضعة عشر يوماً".²

وبين سجلماسة وغانة في الصحراء مسيرة شهرين في رمال وجبال غير عامرة قليلة الماء يسكنها قوم من مسوفة رحالون لا يستقر بهم مكان، ليس لهم مدن ولا عمارة يأوون إليها وادي درعة، وبينه وبين سجلماسة مسيرة خمسة أيام.³

وذكر القزويني أنّه من سجلماسة إلى السودان مسيرة ثلاثة أشهر ويشير إلى أنّ التجار من سجلماسة يمشون إليها بتعب شديد وبضائعهم الملح وخشب الصنوبر، وخشب الأرز وخزر الزجاج والأسورة والخواتيم منه والحلق النحاسية.⁴

¹ البكري: المصدر السابق، ص49.

² ابن حوقل: صورة الأرض، ص91؛ الحميري: المصدر السابق، ج1، ص277.

³ الحميري: المصدر نفسه، ص305.

⁴ زكرياء بن محمد بن محمود القزويني (ت:682هـ): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص19.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصّلة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

أما اليعقوبي فيحدد طول هذا الطريق بمقدار 50 رحلة يسير في مفازة وصحراء ثم يلقاه قوم يقال لهم أنبية من صنهاجة في صحراء ليس لهم قرار شأنهم.¹

خامسا: طريق تغازا إلى السودان

تقع تغازا في جنوبي المغرب بقرب البحر المحيط² يصفها الحسن الوزان بكثرة مناجم الملح الموجود بها وشبهها بمقالع الرخام.³

ازدهر هذا الطريق أكثر من الطرق الواقعة إلى الغرب منه فظهور تنبكتو أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كمركز تجاري إلى جانب نمو مركز جني قد ركزت حركة القوافل في الجهة الشرقية من هذه المنطقة.⁴

سادسا: طريق فاس تنبكتو

هي من الطرق التجارية التي يوجد فيها الكثير من الآبار، وقد أشار الحسن الوزان إليها وذكر بأنها مكسوة في داخلها بجلد الإبل أو المبنية بعظامها، وعلى التّجار أن يسافروا في فصل الشتاء لأنّه تهب في غير هذا الفصل رياح قبلية تحمل معها من الرمال ما يغطي الآبار،⁵ فمن يذهب على أمل أن يجد الماء في الأماكن المعتادة لا يعثر على الآبار ويكون المسافر مضطرا أن يموت عطشا لأنّه لا يستطيع أن يهتدي إلى أماكن البئر.⁶

¹ أحمد بن أبي يعقوب إسحاق ابن جعفر بن وهب ابن وضاح اليعقوبي (ت284هـ)، البلدان، وضعه: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص199.

² القزويني: المصدر السابق، ص26.

³ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص108.

⁴ الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ص316.

⁵ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص76.

⁶ الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ص317.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصّلة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

المطلب الثاني: المراكز والحواضر الثقافية

قامت المراكز الثقافية على طول المسالك التجارية وفي مناطق الربط بين الأقاليم لا سيما الصحراء.¹

وقد أدت هذه المراكز الثقافية دورا بالغا في تمتين العلاقات الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء، وذلك من خلال تنقل الطلبة بين تلك الحواضر العلمية من أجل تحصيل العلم، وأهم هذه المراكز العلمية مايلي:

أولا: مراكز بلاد المغرب الأقصى:

1- سجلماسة:

مدينة من أعظم مدن المغرب الإسلامي التي شيّدت بعد الفتح الإسلامي وهي قاعدة لإمارة بني مدرار الصفرية التي أسسها أبو القاسم سمكو بن واسول سنة 140هـ / 757م² تقع على نهر يقال له زير³ ولها أسوار عالية وجميلة مازالت آثارها قائمة.⁴

يحدّها غربا إقليم درعة وشرقا إقليم الرطم المحادي لنهر زير وجنوبا إقليم الضهرة وشمالا جبال الأطلس الكبير المطلة على غرس العيون بفاس،⁵ وحدد ابن سعيد المغربي

¹ إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص 86.

² الحميري: المصدر السابق، ص 305.

³ مارمول كريخال: إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر، الرباط، 1989، ج 3، ص 154.

⁴ اليعقوبي: المصدر السابق، 148.

⁵ مارمول كريخال: المصدر السابق، ج 3، ص 153.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصّلة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

موقعها الفلكي من حيث الطول 13 درجة و 20 دقيقة، ومن حيث العرض 26 درجة و 20 دقيقة.¹

تعد مدينة سجلماسة مركزا تجاريا وثقافيا مهما ببلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأقصى خاصة فهي بوابة للصحراء وبلاد الذهب، ومحطة أساسية للقوافل من السودان والذاهبة إليها.²

يقول الإدريسي عنها أنّها مقصد للوارد والصادر،³ فقد كانت همزة وصل تربط تجارة القوافل بين الحواضر الإسلامية بالمغرب والمشرق كتيهت، فاس، تلمسان، إفريقية، بغداد ثم بين كل هذه الحواضر وبلاد إفريقيا جنوب الصحراء، حيث تنطلق منها قوافل التجار نحو إفريقيا جنوب الصحراء وهي تحمل شتى أصناف البضائع وتعود إليها ببضائع تلك البلاد.⁴

كما تعتبر سجلماسة مركزا ثقافيا هاما فقد عرفت ازدهارا علميا، حيث احتوت على العديد من المؤسسات الثقافية كالمساجد والمدارس والتي احتوت بدورها على صفوة من العلماء الأفاضل الذين لمع دورهم في تنوير الفكر الإسلامي بشتى أنواع العلوم والمعارف، ومن بين هؤلاء العلامة الحسن بن قاسم قام بتدريس العلم بسجلماسة عام 676هـ/ 1277م، فكانت المسائل الفقهية ترسل إليه من كافة أنحاء المغرب وذلك لما عرف عنه

¹ ابن سعيد المغربي (ت: 685هـ): بسط الأرض في الطول والعرض، تح: خوان قرنيط خينس، معهد مولى الحسن، تطوان، 1958، ص 58.

² مارمول كريخال: المصدر السابق، ج 3، ص 154.

³ الإدريسي: المصدر السابق، ص 225.

⁴ الهادي المبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا، ص 142.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصلّة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

من تَبَحَّر في العلم، وابن الحفيد عبد الرحمان السجلماسي أحد أعلام الفكر بسجلماسة سنة 789هـ / 1387م.¹

وصفها ابن حوقل بقوله: " ودخلتها في سنة الأربعين فلم أر بالمغرب أكثر مشايخ في حسن سمت وممازحة للعلم وأهله إلى سعة نفوس عالية وهم سامقة سامية".²

2- فاس

مدينة كبيرة جدا تحيط بها أسوار متينة وعالية تكاد تكون كلها مشيدة على تلال،³ وهي عاصمة المغرب الأقصى أسسها إدريس على مرحلتين: أولى تعرف بعدوة الأندلس بنيت سنة 193هـ / 808م،⁴ وسميت بذلك لما أجلا الحكم بن هشام الأندلس عن قرطبة إلى المغرب، وشرعوا بها في البناء إلى ناحية الكزان ومصمودة والفوارة إلى الرميطة.⁵

أمّا الثانية تعرف بعدوة القرويين لأنّ أول من نزل بها مع إدريس ثلاث مائة بيت من أهل القيروان فسميت بهم ونسبت إليهم، وبنيت سنة 194هـ / 809م.⁶

وقد وصفها البكري بقوله: "... ومدينة فاس مدينتان مفترقتان مسورتان وهما عدوة الأندلسيين وعدوة القرويين".⁷

¹ الهادي المبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا، ص144.

² ابن حوقل: المصدر السابق، ص96.

³ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص221.

⁴ علي الجزنائي: المصدر السابق، ص24؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص230.

⁵ ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص38؛ عبد الهادي التازي: جامع القرويين، دار نشر المعرفة، الرباط،

1973، ج1، ص46.

⁶ علي الجزنائي: المصدر السابق، ص25؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص230.

⁷ البكري: المصدر السابق، ص115.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصّلة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

كما تعد من أهم المراكز الثقافية والتجارية التي أثرت على تنشيط الحياة التجارية بالمغرب الأقصى في العصر الوسيط باعتبارها من بين أهم الطرق التجارية التي تربط بين المغرب الأقصى والدول المجاورة، وكانت دار صناعة لإنشاء القوارب والسفن الصغار.¹

كما كانت مركزا ثقافيا هاما في بلورة الوعي الفكري والعلمي بالمغرب الأقصى، فهي دار فقه وعلم وصلاح ودين تشع بالعلماء والأدباء ورجال الفكر،² واحتوت على العديد من المؤسسات الثقافية والعلمية؛ يقول الحسن الوزان: "وفي فاس حوالي سبعمائة جامع ومسجد".³

ومن بين المؤسسات الثقافية التي لعبت دورا بارزا في تنوير الفكر الإنساني والتي زادت من قيمة فاس العلمية جامع القرويين،⁴ وقد تم ذكره مسبقا في الفصل الأول أثناء ذكر المؤسسات والمدارس الثقافية بالمغرب الأقصى.

فقد جعل من فاس منارة علمية تشع بعلمها الثاقب الذي عزز التواصل الثقافي بين فاس ومنازل العلم بالأقطار الأخرى، فكان علماء القرويين رحلات شرقا وغربا وشمالا جنوبا فقد اتصلوا بعلماء الأزهر، بجاية، تلمسان، وعلماء تنبكتو في إفريقيا جنوب الصحراء.⁵

¹ علي الجزنائي: المصدر السابق، ص37.

² ابن القاضي المكناسي: المرجع السابق، ج1، ص48؛ طه أحمد جمال: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، دار الوفاء، الإسكندرية، 2001، ص288.

³ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص223.

⁴ عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج1، ص46.

⁵ الهادي المبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها بالمغرب وليبيا، ص127.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصلّاة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

3- مراكش

تقع مراكش في سهل فسيح بعيدة عن الأطلس بنحو 14 ميلا،¹ بناها يوسف بن تاشفين أمير لمتونة سنة 459 واتخذها عاصمة له وهي اليوم حاضرة بلاد المغرب ودار مملكتها.²

تحتوي هذه المدينة على مساجد ومدارس ثقافية من بينها ما بناه ملوك لمتونة، ومنها ما بناه ملوك الموحدين وتوجد في وسط المدينة جامع في غاية الحسن بناه علي بن يوسف أول ملوك مراكش سمي باسمه جامع علي بن يوسف كما يوجد بالقصبة جامع بناه عبد المؤمن.³

ثانيا: مراكز بلاد إفريقيا جنوب الصحراء

1- تنبكتو

تقع على الضفة الجنوبية للصحراء الكبرى نشأت على أيدي توارق مقشرن⁴ أواخر القرن الخامس للهجرة،⁵ أما الحسن الوزان فيشير إلى أنّ تنبكتو اسمها حديث لمدينة بناها بناها ملك يدعى منسى سليمان إلى سنة 610هـ / 1213م.⁶

¹ ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج4، ص21.

² مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص208.

³ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص127.

⁴ عبد الله سالم بازينة: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط1، 2010، ص141.

⁵ السعدي: المصدر السابق، ص20.

⁶ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص165.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصّلة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

سميت تنبكتو نسبة لعجوز اسمها تنبكت كانت تسكن المكان قبل إنشاء المدينة فينزلون الرحالة حول بيتها وتقوم هي بمساعدتهم.¹

تعد تنبكتو من أهم المراكز التجارية في إفريقيا جنوب الصحراء وملتقى الطرق في اتجاهات مختلفة برا وبحرا، يقول عنها السعدي: "فهي ملتقى الفلك والسيار".²

وقال عنها صاحب الوسيط: "إنها مدينة مشهورة وفيها كثير من تجار سوس وغيرهم من بلاد المغرب".³

قامت بها جاليات تجارية من مصر، فزان، غدامس فاس، سوس مما يؤكد العلاقات المتينة التي تربط بلاد الإسلام خاصة المغرب الأقصى بإفريقيا جنوب الصحراء في مختلف المجالات سياسيا اقتصاديا اجتماعيا ثقافيا.⁴

لم تكن تنبكتو مركزا تجاريا فحسب بل كانت مركزا عظيما من مراكز العلم، فقد احتوت على مسجدين يعتبران جامعتان إسلاميتان هما مسجد سنكري والمسجد الكبير.⁵

وقد تم ذكرهما مسبقا في المبحث الثاني من الفصل الأول عند ذكر المراكز الثقافية لإفريقيا جنوب الصحراء وبلغت أوجها الثقافي خلال القرنين 14م / 15م، فاحتوت على العديد من العلماء وطلاب العلم يقول الحسن الوزان: "وفي تنبكتو عدد كثير من القضاة والفقهاء والأئمة".⁶

¹ عبد الله سالم: المرجع السابق، ص141؛ إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص94.

² السعدي: المصدر السابق، ص21.

³ أحمد بن الأمين الشنقيطي: الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، تج: فؤاد سيد، مطبعة المدني، القاهرة، ط4، 1409هـ / 1989م، ص460.

⁴ إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص95.

⁵ نعيم قداح: المرجع السابق، ص159.

⁶ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص167.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصّلة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

أمّا السعدي فيقول: " هذه البلدة الطاهرة الزكية الفاخرة ذات بركة ونجعة وحركة ما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمان وهي مأوى العلماء والعابدين ومآلف الأولياء والزاهدين".¹

أصبحت تنبكتو مركزا للتعاليم الإسلامية يتوافد عليها الطلبة وعلماء الدين في جموع كبيرة مدفوعين بما كانوا يلاقونه فيها من تشجيع ورعاية.²

انتشرت بها مدارس تحفيظ القرآن الكريم والكتاتيب، كانت ذات سمعة كبيرة في العالم الإفريقي وبقية العالم الإسلامي باحتضانها جامعة سنكري التي كانت تضاهي الأزهر والزيتونة وغيرها من مراكز العلم.³

2- جاو أو قاو أو غاؤ

تقع جنوب تادمكة وهي مدينة كبيرة على نهر ينبع من الجبال تتصل ببلاد المغرب الأقصى شمالا عن طريق سجلماسة.⁴

اشتهر أهلها بثراء نسبي حيث كانوا يشتغلون بالتجارة في مختلف الاتجاهات الإفريقية وقد كان أغلبية تجارهم يأتون من المناطق الداخلية بالذهب ويستبدلونه بالبضائع المستوردة من بلاد البربر، وما زاد شهرتها سوقها الأسبوعي حيث كان يتم فيه بيع العبيد بأثمان بخسة لا يتجاوز العبد الشاب أو الأمة الشابة 16 درهما.⁵

¹ السعدي: المصدر السابق، ص20.

² سيرتوماس، المرجع السابق، ص355.

³ الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ص117.

⁴ البكري : المصدر السابق: ص183.

⁵ مارمول كرخال: المصدر السابق، ج3، ص204، 205.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصّلة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

وتعد مركزا ثقافيا هاما وتجاريا فكانت ترتبط ببلاد المغرب الإسلامية علاقات تجارية قوية منها تجارة الخيول المستقدمة من بلاد البربر ونوميديا.¹

وما زاد من شهرتها مسجدها الكبير الذي قام ببناؤه منسى موسى بعد عودته من أداء فريضة الحج، والذي أشرف على بناءه المهندس الشاعر القرطبي أبو إسحاق إبراهيم الساحلي.²

3- جني

تقع في الجنوب الغربي من تنبكت تأسست سنة 499هـ / 1100م في عهد المرابطين وهي مدينة محاطة بسور عظيم به ثمانية أبواب.³

وصفها السعدي فقال: "مدينة عظيمة ميمونة مباركة ذات سعة وبركة.... طبيعة أهلها التراحم والتعاطف والمواساة".⁴

أصبحت مدينة جني حلقة اتصال بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي ومركزا على الطريق الرابط بين تنبكتو شمالا ومصادر الذهب جنوبا.⁵

فهي ملتقى للقوافل التجارية التي تسير بين شمال الصحراء وجنوبها، وأصبحت سوقا عظيما من أسواق المسلمين.⁶

¹ إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص 96.

² عبد الله سالم بازينة: المرجع السابق، ص 145.

³ المرجع نفسه، ص 146.

⁴ السعدي: المصدر السابق، ص 11.

⁵ إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص 97.

⁶ عبد الله سالم بازينة: المرجع السابق، ص 146.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصلّاة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

تعد من أهم المراكز التجارية في إفريقيا جنوب الصحراء وأصبحت محل جذب عدد كبير من طلاب العلم والفقهاء من جهات عديدة، وذكر السعدي في ذلك: "بأنّ الله تعالى ساق لهذه المدينة المباركة سكّانا من العلماء والصالحين من غير أهله من قبائل شتّى وبلاد شتّى".¹

ظهر الكثير من العلماء والفقهاء بها وأرسلت أبنائها من الطلاب إلى مختلف الجامعات الإسلامية، لكي ينهلوا من الثقافة الإسلامية الزاهرة ببلاد العالم الإسلامي.²

وذكر السعدي الكثير من القضاة الذين كانوا على درجة من العلم بالترتيب: القاضي محمد فودي سانو، القاضي فوك ثم القاضي كناجي....³

المبحث الثاني: الرحلات العلمية والحجّية

تعتبر الرحلات العلمية والحجّية سواء من إفريقيا جنوب الصحراء إلى المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأقصى بصفة خاصة أو العكس ثمرة مشجعة للحضارة الإسلامية في كلا البلدين، وكانت عاملا مهما في تشجيع التواصل الثقافي بينهما بفعل التبادل التجاري الذي أدى أدوارا مزدوجة هما تبادل السلع وتبادل الأفكار والأخبار ونشر الإسلام والثقافة العربية من المغاربة، ما شجع طلاب العلم من إفريقيا جنوب الصحراء على التردد إلى المغرب الأقصى لينهلوا من ضخامة المعرفة فيه والذي كان أكثر بلد جذبا لهم.

¹ السعدي: المصدر السابق، ص16.

² عبد الله سالم بازينة: المرجع السابق، ص146.

³ السعدي: المصدر السابق، ص20.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصلّاة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

المطلب الأول: الرحلة العلمية من المغرب الأقصى إلى إفريقيا جنوب الصحراء

قام المغاربة بالهجرة إلى إفريقيا جنوب الصحراء بعد انتشار الإسلام وذلك بهدف نشر الثقافة العربية الإسلامية هناك فقد وجدوها أرض خصبة لنشر الدين الإسلامي وتعددت هذه الهجرات العلمية بين الأسر المغاربية التي هاجرت عنوة بسبب الثورات الداخلية ضد الحكم الوندالي، وكذلك هجرات العربية (بني هلال وبني سليم)، و لا يخفانا أنّ السبب الرئيسي لهذه الهجرة هو نشر الإسلام .

كما هاجروا علماء المغرب الأقصى إلى إفريقيا جنوب الصحراء من أجل التبخر في العلم ونشر الثقافة العربية الإسلامية، وقد أشرنا إليهم في المبحث الثاني من الفصل الأول عند ذكر دور العلماء المغاربة في إفريقيا جنوب الصحراء، وسنخص هنا بذكر أهم الأسر المهاجرة والتي استقرت بالسودان الغربي ونسلط الضوء على رحلة ابن بطوطة التي أخذت شهرة كبيرة لما قدمه لنا من معلومات لها ثقل في التاريخ الوسيط.

أولاً: أهم الأسر والقبائل المهاجرة التي استقرت بإفريقيا جنوب الصحراء

أدت الأسر المغاربية دوراً هاماً في إفريقيا جنوب الصحراء منذ أمن بعيد، ممّا يدل على عمق التواصل والتلاقح الثقافي بين المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأقصى خاصة وإفريقيا جنوب الصحراء، فقد حضيت هذه الأسر بمكانة عالية لدى سلاطين وملوك إفريقيا جنوب الصحراء، وذكرت العديد من المصادر عن استقرار المغاربة بإفريقيا جنوب الصحراء ومنهم البكري الذي تحدث عن وجود المسلمون في غيارو، برسني وأيضاً غانة بقوله: "ومدينة غانة مدينتان سهليتان إحداها يسكنها المسلمون".¹

¹ البكري: المصدر السابق، ص175.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصّلة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

وذكر أيضا أن مدينة كوغة أهلها مسلمين وكذلك مداسة وتادمكة سكنها البربر المسلمون كما ذكر أنّ بنو مسوفة سكنوا غانة.¹

وذكر ابن خلدون أنّ قبائل هواره و لمطة رحلت إلى بلاد السودان وتمركزت مدينة كوكو فقال: "ومنهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر وجاوزوا لمطة من قبائل المثلثين فيما يلي بلاد كوكو من السودان".²

وذكر ابن بطوطة أنّ قبيلة مسوفة الصنهاجية تمركزت بإولاتن بالسودان.³ وشكلوا غالبية سكانها ومنهم من اتخذ من مالي موطن لهم، ومنهم من اتخذ مدينة تنبكتو.⁴

أمّا قبيلة جدالة فاتجهت جنوبا نحو نهر النيجر إلى إفريقيا جنوب الصحراء وقد كانت حلقة وصل بين المغرب الإسلامي والمحيط الزنجي الذي يمتد حتى بحيرة التشاد.⁵ ومن بين أهم الأسر المغاربية التي استقرت بإفريقيا جنوب الصحراء:

1- إبراهيم الخضر الفاسي: جاء لتنبكتو وسكن في حومة الجامع الكبير واتّخذهُ الملك سني علي كاتباً له،⁶ كذلك ذكر السعدي أنّ هناك عائلات تواتية سكنت مدينة تنبكت.⁷

¹ البكري: المصدر السابق، ص 179-180.

² ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص185.

³ أبو عبد الله محمد الطنجي المعروف بابن بطوطة(ت: 1377م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب

الأسفار، تح: الشيخ محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1987، ج1، ص690.

⁴ مريم عبيدي سعد: الجاليات المغاربية في السودان الغربي بين القرنين 5هـ - 9هـ / 11م - 15م، مذكرة لنيل شهادة

الماستر، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، 2018-2019، ص10.

⁵ محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1،

2007، المرجع السابق، ص47.

⁶ السعدي: المصدر السابق، ص68.

⁷ المصدر نفسه، ص59-60.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصّلة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

2- عائلة محمد الفاسي: زحفت هذه الأسرة من فاس إلى السودان الغربي واشتغل أبنائها هناك بالتعليم ومنهم محمد الفاسي.¹ وقد حدثت مصاهرات بين المغاربة وأهالي السودان الغربي وارتبطوا معهم برباط الدم، ممّا يدل على عمق الروابط بين إفريقيا جنوب الصحراء.²

ثانيا: رحلة ابن بطوطة إلى إفريقيا جنوب الصحراء

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة والذي نسبت إليه رحلته المشهورة والتي دامت 29 سنة ونصف، وهو من أسرة دينية ترجع إلى لواتة من قبائل برقة.³ بدأت في 2 رجب 725هـ وانتهت بوصوله إلى مدينة فاس أواخر ذي الحجة الحجة عام 754هـ، فقد زار كل بلاد العالم المعروفة في عصره وقام بأداء فريضة الحج سنة 726هـ، وأعاد الكرة أكثر من مرة ومكث في فاس وقتا طويلا ومنه ارتحل إلى إفريقيا جنوب الصحراء إلى مالي والنيجر عبر سجلماسة ومنها إلى تغازي ثم إيولاتن ثم مالي.⁴

وبوصوله إلى مالي التقى بمحمد بن الفقيه الجزولي كبير جماعة البيضان وشمس الدين بن النقوش المصري وجاورهم وقد أكرموا أحسن إكراما يقول ابن بطوطة: "وقاموا بحقي أتم قيام شكرا الله أحسن أعمالهم".⁵

وبعد مدة من مكوثه بمالي تمرض شهرين كاملين ما حال دون التقاءه بسلطان مالي منسى سليمان وتسنى له ذلك عند حضوره طعام عزاء أبي الحسن الذي حضره الفقهاء

¹ الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ص 195.

² المرجع نفسه، ص 195.

³ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، ط1، 2000، ج2، ص 156.

⁴ ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 19-20.

⁵ المصدر نفسه، ص 158.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصّلة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

والقضاة والأمراء، ولما علم السلطان بأمره أحسن إليه وأنفق عليه المال ويقول ابن بطوطة: "وأعطاني ثلاثة وثلاثين مثقالاً وأحسن إلي عند سفري بمائة مثقال ذهباً".¹

قام ابن بطوطة خلال رحلته هذه بوصف سلطان مالي فقال: "وسليمان ملك بخيل لا يرجى منه كبير عطاء".² ووصف أيضاً جلوس السلطان بقبته ومجلس المشور، وغادر مالي في 22 محرم سنة 753هـ متجهاً ميمة فتنبتكتو فوكو برفقة تاجر عرف بأبي بكر ابن يعقوب والتقى مع حاكم من السودان يدعى فريامغا الذي أطلعته على أخبار منسى موسى.³

وأقام بكوكو نحو شهر واستضافه شخص من أهل مكناسة وأحسن ضيافته يدعى محمد بن عمر واستضافه بعد وفاته الحاج محمد الوجدي التازي والفقير محمد الفيلاي إمام مسجد البيضان، ومنها إلى تكدا نزل فيها بجوار شيخ المغاربة سعيد بن علي الجزولي واستضافه قاضيها أبو إبراهيم إسحاق الجاناتي.⁴

ثم سافر إلى توات يوم 11 شعبان سنة 754 بمصاحبة جعفر التواتي وقاضي تكدا الفقيه محمد بن عبد الله ومروا ببلاد هكار في شهر رمضان وبعدها وصلوا إلى بؤدا وهي أكبر قرى توات وفي شهر ذي القعدة إلى مدينة سجماسة ومنها إلى فاس فقد أمره السلطان أبو عنان بالرجوع إلى المغرب بعد ثلاثين سنة قضاها في التجوال خارج بلاده وولاه المرينيون قضاء تامسنا وتوفي سنة 775هـ.⁵

¹ ابن بطوطة المصدر السابق، ج1، ص195.

² المصدر نفسه، ص696.

³ المصدر نفسه، ص705.

⁴ ابن بطوطة المصدر السابق، ج1، ص710.

⁵ إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج2، ص156.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصّلة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

أثرت رحلة ابن بطوطة على التّلاقح الثقافي بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء وذلك من خلال تنقله عبر مدنّها ونقل عادات وتقاليد كل من البلدين والالتقاء بفقهاء وقضاة السودان الغربي وأخذ العلم عنهم، والعودة إلى موطنه بزاد علمي كبير وتدوينه.

المطلب الثاني: الرحلة العلمية والحجّية من إفريقيا جنوب الصحراء إلى المغرب الأقصى

لم تورد لنا المصادر وكتب الرحلة كتابات شاملة حول الرحلات العلمية والحجّية التي قام بها طلبة وملوك إفريقيا جنوب الصحراء إلى المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأقصى خاصة في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م، وجل ما كتب انصب حول رحلة حج منسى موسى ملك مالي سنة 724هـ، وإشارات طفيفة إلى رحلة بعض الملوك من قبل منسى موسى دون ذكر تفاصيل عنها ومن بينهم:

أولاً: منسى ولي حكم ما بين 652هـ - 667هـ / 1255م - 1270م

اسمه الحقيقي أولين وأسماه العرب علي وهو من أطلق لقب منسى على ملوك مالي، تابع الفتوحات وعمليات التوسع وأمن حدود بلاده الشمالية.¹

كان من أعظم حكام بلاده محباً للإسلام معروفاً بالتقوى والصلاح رحل إلى الحج في أيام السلطان المملوكي الظاهر بيبرس صاحب مصر.² وأنشأ ما يسمى بطريق الحج وهو طريق طويل يخترق القارة من الغرب إلى الشرق حتى يصل إلى سواحل البحر الأحمر.³

¹ محمد فاضل علي باري، المرجع السابق: ص 80.

² ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 266؛ القلقشندى: المصدر السابق، ج 5، ص 293.

³ جوان جوزيف: الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تح: مختار السويفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1984، ص 71.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصّلة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

ثانيا: منسى سليمان حكم سنة 742هـ / 1341م

عمل على إعادة هيبة مالي بعد الضعف الذي أصابها في العهد الذي سبقه، وقام بإصلاحات داخلية.¹ ورحل إلى الحج سنة 752هـ / 1351م وتوفي سنة 762هـ / 1360م.²

ثالثا: رحلة منسى موسى للحج وأثرها الثقافي على إفريقيا جنوب الصحراء

هو منسى موسى بن أبي بكر بن ماري جاطة تولى حكم مالي سنة 707هـ / 1307م من أشهر ملوك دولة مالي وأعظمهم.³

وصفه ابن خلدون بقوله: " كان رجلا وملكا عظيما له في أخبار توثّر عنه".⁴ وقام برحلته إلى الحج سنة 724هـ فاتخذ طريق الشمال عبر ولاته وتوات وأخذ معه 160 رجل و 500 عبد يمस्क كل واحد منهم بقضيب من الذهب وقبست قافلته بلاميال، و 40 بغلة محملة بالذهب وكانت زوجته " إينارى " مرفقة ب 500 وصيفة،⁵ وكان منسى موسى قد بعث إلى السلطان المريني ابن سعيد عثمان بن يعقوب برسالة مخبرا إياه بأن قافلته ستمر من الطريق الإمبراطوري المحادي لساحل البحر الأبيض وذلك لتأمين طريقه، ولما وصل إلى فاس حاضرة المغرب الأقصى استقبلوه أحسن استقبال.⁶

¹ القلقشندى: المصدر السابق، ج5، ص297.

² يعقوب علي: دولة مالي الإسلامية (628هـ - 834هـ / 1230م - 1430م)، مجلة قراءات إفريقية، العدد: 20، 2015، ص18.

³ القلقشندى: المصدر السابق، ج5، ص294.

⁴ ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص267.

⁵ السعدي: المصدر السابق، ص7.

⁶ محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان العربي، مؤسسة الفليج للطباعة والنشر، الكويت، 1737، ج1، ص48.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصّلة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

دخل منسى موسى مصر وهو يحمل هدايا جلييلة وذهب كثير فاستقبله السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون المهندار وقربه وأكرمه، ولمّا سأله عن سبب قدومه وعلم منه أنّه جاء من أجل الحج فأمر الوزير أن يجهزه بكل ما يحتاجه.¹

ولما رجع منسى من أداء فريضة الحج سنة 726هـ / 1325م رافقه أربعة من الموالى والمهندس أبو إسحاق الساحلي المعروف بالطونجق الذي شارك في بناء مسجد غاو وجامع سنكري بتنبكتو ومدينة المساجد والمباني الأخرى في عواصم المنطقة،² واصطحب معه عدد من العلماء والفقهاء من المغرب والمشرق واشترى الكثير من أمهات الكتب الشيء الذي عمّق التواصل والتبادل الثقافي بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء وساهم في نمو وازدهار الحركة العلمية ببلده.³

اتسعت علاقات منسى بالمغرب من خلال التبادل التجاري والتواصل البشري بين الجانبين، وتبادل السفارات والهدايا بينهما، وهذا ما ذكره بن خلدون حين قال: "وكان بين هذا السلطان منسى موسى وبين ملك المغرب لعده من بني مرين السلطان أبي الحسن مواصلة ومهاداة سفرت بينهما فيها الأعلام من رجاله الدوليين."⁴

وذكر الناصري عن تواصل منسى موسى بالسلطان المريني أبي الحسن والذي تمثل في تبادل الهدايا بينهما فقال: فسمّا هذا السلطان وهو منسى موسى إلى مخاطبة السلطان أبي الحسن وكان مجاورا لمملكة المغرب على نحو مائة مرحلة في القفر، فوفد عليه

¹ أحمد بن علي المقرئ: المصدر السابق، ص 140.

² ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 267؛ الناصري: المصدر السابق، ج 3، ص 152.

³ سحر عنتر: المرجع السابق، ص 230.

⁴ ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 268.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصّلة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

جماعة من أهل مملكته مع ترجمان من الملتثمين المجاورين لبلادهم من صنهاجة من أجل تهنئته بالظفر فأكرم وفادتهم وأحسن مثناهم ومنقلبهم".¹

وفحوى هذا القول أنّ منسى موسى أرسل ذلك الوفد لتهنئة أبو الحسن بفتح تلمسان والذي أعد له هدية من تحف المغرب التي كانت بملكه الخاص، وأرسلها له مع وفدا ومن بينهم مولاة عنبر الحض.

وهكذا تعزز التّواصل الثقافي بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء، والذي كان له الأثر البالغ على ازدهار الحياة العلمية والفكرية بإفريقيا جنوب الصحراء وشهدت نشاطا علميا كبيرا.

وتوافد على مملكة مالي علماء المالكية بعد عودة منسى من الحج وهذا ما جاء به العمري في قوله: "وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه وبقي بها سلطان المسلمين وتفقه في الدين".²

كما دخلت مؤلفات مغربية وكتب المالكية إلى إفريقيا جنوب الصحراء ككتب القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام من في مالك؛ موطأ الإمام مالك والمدونة الكبرى للفقهاء والقاضي سحنون.³

اهتم منسى موسى بالتعليم فبنى المساجد والمدارس والمواذن وأقام به الجمع والجماعات والمكتبات الإسلامية خاصة تتبكتو حيث أنشأ جامعة سنكري،⁴ وجعل بلاده

¹ الناصري: المصدر السابق، ج3، ص151.

² العمري: المصدر السابق، ج4، ص49.

³ الحميسي رانية، توحاري نجية: دور علماء المغرب الأوسط والأقصى الثقافي في السودان الغربي من القرن الثاني إلى الثالث عشر الهجريين / 8م - 19م، مذكرة ماستر، جامعة الجبالي بونعامة خميس مليانة، 2016 - 2017، ص59.

⁴ العمري: المصدر السابق، ج4، ص49.

الفصل الثاني: عوامل تمتين الصلّة الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء في ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

منارة علمية وعمل على نشر الدين الإسلامي، وأصبحت تنبكتو شيئاً فشيئاً مركزاً للعلم والتدريس يفتد إليها طلاب العلم من المسلمين من شتى أنحاء إفريقيا ومن البلاد العربية.¹

قام منسى موسى بإرسال الطلبة لتلقي العلوم الإسلامية في فاس والقاهرة على نفقته، وكان المتعلمون يعودون ويحتلون مراكز القيادة في بلادهم ليصبحوا أئمة وقضاة ومعلمين في المدارس والمساجد في كل من العاصمة نياني ومدن تنبكتو، غاو، جني التي غدت مدن ثقافية هامة.²

كانت لهذه الرحلة منافع كثيرة على إفريقيا جنوب الصحراء خاصة في الجانب الثقافي فقط أصبحت مدنها منارات علمية كبرى وأنجبت العديد من الفقهاء والقضاة والعلماء الذين عملوا على نشر الثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء.

¹ جوان جوزيف: المرجع السابق، ص75.

² نعيم قداح: المصدر السابق، ص55.

الفصل الثالث: مظاهر تأثير التواصل الثقافي على

إفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / م8-

15م

المبحث الأول: مظاهر التأثير ثقافيا

المبحث الثاني: مظاهر التأثير اجتماعيا

الفصل الثالث: مظاهر تأثير التواصل الثقافي على إفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

بلغت هذه التأثيرات ذروتها في عهد منسى موسى بعد عودته من الحج سنة 724هـ/1324م، والتي تحدثت عنه كتب المصادر بإسهاب حيث عادت هذه الرحلة بفائدة كثيرة على بلاد إفريقيا جنوب الصحراء، والتي تركت أثرا ملموسا بها جسّدت الثقافة والحضارة التي بلغت هذه المنطقة.

وسنتطرق في هذا الفصل إلى مظاهر تأثير التواصل الثقافي بين المغاربة وإفريقيا جنوب الصحراء في المجال الاجتماعي والثقافي، وبالنسبة لتأثير إفريقيا على المغرب فلم تحضرنّا معلومات كافية بأنّ هناك أثر ملموس تجسد في المغرب الأقصى ولم نتحدث عنها كتب المصادر ما يفسر لنا أنّ المغرب الأقصى كانت في قمة التطور وإفريقيا جنوب الصحراء في طريقها للنّهضة الثقافية والحضارية ما جعل الإفريقيين يأخذون ولا يعطون.

الفصل الثالث: مظاهر تأثير التواصل الثقافي على إفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

المبحث الأول: مظاهر التأثير والتأثر اجتماعيا

المطلب الأول: العادات والتقاليد

حدثت تغييرات كثيرة في عادات وتقاليد سكان إفريقيا جنوب الصحراء نتيجة التّمازج البشري بينهم وبين المغاربة عن طريق الزواج، ما نتج عنه عادات وتقاليد جديدة خاصة في مجال الزواج وبناء الأسرة.¹

كان الزواج فوضوي وليس له حقوق أو شروط ولا قيمة له قبل دخول الإسلام للمنطقة، فكانت المرأة الواحدة يتمتع بها أكثر من عشرة رجال يتناكحون من غير صداق، ووصفهم الحسن الوزان بقوله: "ثم يجتمعون في الليل عشرة إلى إثني عشرة رجلا وامرأة في كوخ ويضاجع كل واحد من تعجبه أكثر من غيرها".²

وكان الزواج محصورا في العشيرة الواحدة حفاظا على تماسكها والأسرة أموسية أي الحم للأم.³

وبعد تغلغل الإسلام في سكان إفريقيا جنوب الصحراء تخلوا عن العادات السيئة والمنافية لتعاليم الإسلام تدريجيا، وعدلوا من نظام الزواج وفق ما جاء بالشرعية الإسلامية، استعاروا الأسماء العربية لأولادهم وأصبح الابن ينسب إلى أبيه، كذلك زالت الفوارق اللونية والطبقية بين أهل السودان أولا وبينهم والوافدين من البيضان ثانيا.⁴

¹إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص114.

²الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص159 - 160.

³إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص115.

⁴ المرجع نفسه، ص115.

الفصل الثالث: مظاهر تأثير التواصل الثقافي على إفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

وبالنسبة للباس فهو أكبر تغير حدث بإفريقيا جنوب الصحراء بفضل تأثر المنطقة بالحضارة المغربية، حيث كان من عادات أهل السودان الغربي العربي نساء ورجالا.¹ وقد تحدثت كتب الرحلة والجغرافيا عن ظاهرة العربي المنتشرة بإفريقيا جنوب الصحراء ومن بينهم ابن بطوطة فيقول: "وعاداتهم إذا دخلن على السلطان أن يتجررن عن ثيابهن ويدخلن عرايا".²

ويقول أيضا: "ومن مساوئ أفعالهم كون الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرن للناس عرايا باديات العورات".³

وباحتكاكهم مع ساكنة بلاد المغرب وتأثرهم بهم أخذوا يقلدونهم في لباسهم وصاروا يغتسلون ويغسلون ثيابهم خاصة بعد اعتناقهم الإسلام؛ يقول العمري: "ولباسهم عمائم يحبك مثل العرب وقماشهم بياض من ثياب قطن يزرع عندهم وينسج في نهاية الرفع واللفظ يسمى الكميصيا ومنهم شبيهه بزى المغاربة جباب ودراريع بلا تفريح".⁴

وبدأ يتحسن لباسهم شيئا فشيئا وأصبح أهل إفريقيا جنوب الصحراء يلبسون لباسا حسنا ويتلثمون بلثام كبير من قطن أسود وأزرق يغطون به حتى رؤوسهم، لكن الأئمة والفقهاء يتلثمون بلثام أبيض.⁵

¹السعدي: المصدر السابق، ص41.

²ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص703.

³المصدر نفسه، ص703.

⁴العمري: المصدر السابق، ج4، ص53.

⁵الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص163؛ مارمول كرخال: المصدر السابق، ج3، ص200

الفصل الثالث: مظاهر تأثير التواصل الثقافي على إفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

كذلك انتشرت الملابس الحريرية والبرانس التي ارتداها فقهاء جني وارتدى النساء اللثام وغطين به رؤوسهن؛ يقول الحسن الوزان في ذلك: "كانت نساء تنبكت متحجبات".¹

المطلب الثاني: الأعياد والمناسبات

قد أهل إفريقيا جنوب الصحراء المغاربة في احتفالاتهم بالأعياد والمناسبات وذلك نتيجة لتمزجهم البشري واختلاط ثقافتهم، وقد تحدثت كتب المصادر عن بعض الاحتفالات الشبيهة باحتفالات المغاربة التي تقلدها الأفارقة ومن بينهم:

احتفالهم بشهر رمضان وذلك من خلال قراءة كتاب صحيح البخاري على الحاضرين طيلة الشهر، فيستغلون هذا الشهر في العبادة والصدقات.²

كذلك احتفلوا بعيد الفطر وعيد الأضحوقد وصف ابن بطوطة احتفالاتهم أيام العيدين فقال: "خرج الناس إلى المصلى... وعليهم الثياب البيض الحسان... وركب السلطان وعلى رأسه الطيلسان... وهم يهللون ويكبرون".³

كما تُذق الطبول وتطلق الأبواق التي تصنع من سن الفيل وحمل الفوانيس المضاءة، ويتم التصافح والتغافر بين الأفراد والأسر وزيارات الأقارب وصلة الرحم.⁴

بالإضافة إلى احتفالهم بالمولد النبوي الشريف والذي يعتبر العيد الرسمي للدول.⁵

¹ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص166.

² خديجة دباح: المرجع السابق، ص61.

³ ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص699.

⁴ إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص119.

⁵ محمد الغربي: المرجع السابق، ص621.

الفصل الثالث: مظاهر تأثير التواصل الثقافي على إفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

فكان الناس يخرجون رجالا ونساء ليلة المولد إلى الشوارع ويأخذون بضرب الطبول، ويمدح المداحون ويزورون المساجد في أحسن لباسهم وبمفاخر زينتهم.¹

المطلب الثالث: العمران والعمارة

كانت بنايات إفريقيا جنوب الصحراء قبل دخول المغاربة المسلمون إليها عبارة عن زريبات الأشواك وبيوت الأحشاش، ووصفها الحسن الوزان بقوله: "وجميع الدور التي يسكنونها كالأكواخ مملوطة الحيطان بالطين ومغطاة بالتبن".²

أما مارمول كريخال فيقول في وصفه لبيوت إفريقيا جنوب الصحراء: "أما المنازل فإنها مبنية من الخشب ومطلية بالتراب الممزوج بالتبن".³

ثم تحولوا عن الزريبات إلى الصنائص وبدخول المغاربة المهندسين أحدثوا تغييرات كثيرة في العمران البشري من بيوت وقصور ومساجد، فتحولت تلك البنايات البسيطة من الأشواك إلى بناء الحيوط أسوار قصارا جدا واكتمل البناء في الالتصاق والالتئام إلا في أواسط القرن 10هـ.⁴

فلما رجع منسى موسى من الحج اصطحب معه إبراهيم الساحلي الغرناطي الذي أدخل فن البناء إلى إفريقيا جنوب الصحراء وزخرفته على الطراز المغربي الأندلسي، وقام ببناء المساجد كمسجد سنكري وقد تم ذكره آنفا في الفصل الأول، كذلك مسجد جنه بناه

¹ مؤلف مجهول: تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، المكتبة الوطنية، باريس، 1966، ص152.

² الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص163.

³ مارمول كريخال: المصدر السابق، ج3، ص202.

⁴ السعدي: المصدر السابق، ص21-22.

الفصل الثالث: مظاهر تأثير التواصل الثقافي على إفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

المهندس إدريس المراكشي في ق8هـ / 14م والذي يعتبر مثلا عظيما على تمازج الفن العربي الإفريقي.¹

أثر الفن المغربي في فن زخرفة المساجد خاصة في المدن الكبرى كتتبكتو وجني ولا زالت حتى اليوم تلك التأثيرات، فقد زينت بالنقوش والخطوط العربية وزخرفت الآيات القرآنية، كذلك تأثرت المآذن بالفن المغربي كمسجد طوبة.²

أيضا تأثرت المدن الكبرى كجنى وجاو في تخطيطها بفن التخطيط المغربي فقد كانت سطوح المنازل العالية والأزقة الضيقة والأبواب الواسعة والضخمة نفس هندسة العمارة المغربية.³

المبحث الثاني: مظاهر التأثير والتأثر ثقافيا

تميزت مدن إفريقيا جنوب الصحراء بالثقافة العربية الإسلامية المغربية وذلك لاحتضانها أهم علماء وفقهاء المغاربة وكذلك أهم الأسر التي تركت أثرا ملموسا على السودان الغربي مختلف المجالات.

المطلب الأول: اللغة العربية

ارتبط انتشار اللغة العربية بإفريقيا جنوب الصحراء بانتشار الإسلام بها ونشاط الحركة التجارية مع البلاد العربية.⁴

¹نعيم قداح: المرجع السابق، ص160.

²المرجع نفسه، ص160.

³إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص128.

⁴المرجع نفسه، ص55.

الفصل الثالث: مظاهر تأثير التواصل الثقافي على إفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

وادعاء العديد من الحكام والقبائل أنهم ينتسبون إلى أصول عربية شريفة.¹ أيضا انتقال الكثير من الأسر العربية المسلمة إلى هته المنطقة واستقرارها بها ساهم في انتشار اللغة العربية، كما قام الأئمة والدعاة بدور كبير في نشر العربية عن طريق التعليم والإرشاد والوعظ والفتوى.²

وقد عرفت اللغة العربية تطورا ملحوظا خلال القرن 8هـ / 14م بالنسبة لإمبراطورية مالي حيث سجلت نهضة علمية راقية،³ فقد ذكر القلقشندي أن منسى موسى وأخوه سليمان كانا يتقنان العربية قراءة وكتابة وحديثا، وقد عملوا على جعل العربية لغة رسمية إلى جانب اللغة المحلية.⁴

انتشر كذلك الخط المغربي بين أهالي إفريقيا جنوب الصحراء وقد أشار القلقشندي إلى ذلك فقال: وكتاباتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة.⁵

وقبل أن تنتشر العربية ويتمكن من فصاحتها سكان وملوك إفريقيا جنوب الصحراء، كانوا يتعاملون مع المغاربة بمتترجمين يجيدون اللسان العربي،⁶ وهذا ما ذكره الناصري عند ذكره للسلطان منسى موسى ولقاءه بالسلطان المريني فقال: "ولكنه لا يحدثني إلا بترجمان مع إجادة اللسان العربي".⁷

¹ الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا في ما وراء الصحراء، ص 90.

² إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص 120-121.

³ محمد الصافي: إسهامات علماء المغرب في التواصل الفكري والثقافة مع بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد: 36، ص 123.

⁴ القلقشندي: المصدر السابق، ج 5، ص 296.

⁵ المصدر نفسه، ص 298.

⁶ ابن بطوطة: المصدر السابق، ج 1، ص 698.

⁷ الناصري: المصدر السابق، ج 3، ص 151.

الفصل الثالث: مظاهر تأثير التواصل الثقافي على إفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

وهكذا تمكنت اللغة العربية من التوغل في كافة منحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، ما منحها ديمومة البقاء في كافة أرجاء المدن التي اعتنقت الإسلام.

ومن بين أهم التأثيرات الثقافية كذلك انتشار مختلف المذاهب الفقهية بإفريقيا جنوب الصحراء ومن بينها المذهب المالكي، وقد ارتبط انتشاره بالحركة المرابطية بعد ضمهم أملاك مملكة غانة التي أسقطوها وضموها إلى دولتهم سنة 469هـ / 1076م.¹

المطلب الثاني: التعليم

اهتم سكان إفريقيا جنوب الصحراء بالتعليم منذ بداية انتشار الإسلام بالمنطقة، فقد كان المعلم والعالم يحظى بمكانة اجتماعية مرموقة وتمتعوا باحترام وتقدير كبيرين لدى العامة والخاصة خاصة السلاطين.²

وكان يتم تحصيل العلم عبر مراحل: أولاً الكتاتيب على طريقة المغاربة فيتعلم الطفل القراءة والكتابة وحفظ القرآن وتعلم طريقة الصلاة.³

وتعددت أماكن التدريس بين المساجد أو المتاجر أو في ساحة المسجد أو كتاباً مبنياً حسب المنطقة وإمكانياتها، وكانوا يدرسون بوسائل تقليدية نفسها الموجودة في المغاربة خاصة اللوح والدواة، قلم القصب والصلصال للمحي والأصباغ إلى جانب المصاحف.⁴

¹ عبيدي مريم سعد: المرجع السابق، ص36.

² إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص121.

³ ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص690.

⁴ إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص122.

الفصل الثالث: مظاهر تأثير التواصل الثقافي على إفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

أما مرحلة التعليم العالي أو المرحلة المتقدمة كانت تتم في الجوامع بواسطة الحلقات التي يحضرها الطلاب فيجلسون أمام الشيخ أو الأستاذ مباشرة، ثم عامة الناس في الخلف ويجلس بقربه الطلبة النجباء الذين يقومون بسرد النص المقرر دراسته في حين يقوم الشيخ بالشرح والتعليق،¹ وفي غياب الشيخ يكون السرد لغاية الحفظ أو تلاوة السيرة النبوية من بعض الكتب كالشفاء للقاضي عياض، ومن مواد التدريس في هذه المرحلة علوم التفسير والحديث والفقهاء، التاريخ والسيرة وعلوم العربية والمنطق.²

كذلك توجد أنواع أخرى من التعليم كالتعليم المهني والحرفي خاصة بالمدن الكبرى كتنبكتو وجني، فقد كانت العديد من الحوانيت تخصص وقتا لتعليم الشباب مختلف الحرف كالحدادة والتجارة والخياطة.³

المطلب الثالث: الفن والموسيقى والغناء والرقص

عرفت مجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء بميلها إلى الموسيقى والغناء والرقص حتى بلغوا فيها درجة مميزة، وقد أثر هذا على بلاد المغرب والذين أثروا بدورهم فالموسيقى والغناء كان تراث مشترك بين المنطقتين.⁴

وصف الحسن الوزان أهل إفريقيا جنوب الصحراء فقال: "وقد فطر أهل تنبكتو على المرح وتعودوا على التجوال في المدينة بين الساعة العاشرة ليلا والواحدة صباحا، وهم يعزفون على آلات الطرب ويرقصون".⁵

¹ إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص123.

² السعدي: المصدر السابق، ص129-130.

³ إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص124.

⁴ المرجع نفسه، ص126.

⁵ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص167.

الفصل الثالث: مظاهر تأثير التواصل الثقافي على إفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م

وتعددت آلات الطرب بين الطبول المزامير والدفوف والقنين،¹ وقد اختص أشخاص من قبائل معينة في الغناء والموسيقى كقبيلة المابي بتتبكتو وجاو، حيث كانت تكتسب منها قوتها.

وذكر ابن بطوطة أن أهل إفريقيا جنوب الصحراء مولعين بالغناء والموسيقى وقال: "ويضرب بالآلة التي هي من قصب وتحتها قريعات ويغني شعر يمدح السلطان فيه، ويغني النساء والجواري معه ويلعبن بالقسي".²

باحتكاك المغاربة بإفريقيا جنوب الصحراء أضيفت آلات جديدة إلى آلاتهم كالآلات الوترية والمزمار وبعض الأوران والسلاليم الموسيقية والصنجات النحاسية والخشبية والغيطة، كما شجع الحكام الموسيقيين والمغنيين حيث كانوا يأتون إلى المشور كل يوم ويغنون ويعزفون ويرقصون وبانتشار الإسلام اختفت بعض مظاهر السلبية كالصخب والرقص الفاضح.³

¹السعدي: المصدر السابق، ص87.

²ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص700.

³إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص126 - 127.

الخلاصة

وتم بحمد الله هذا العمل الخالص والذي توصلنا من خلاله لعدة استنتاجات تمثلت فيما

يلي:

- تنوع الثقافات بالمغرب الأقصى بين المشرقية والأندلسية والمغربية وهذا ما ساهم في ازدهار الحياة الثقافية والعلمية فيه، حيث وصل تأثير هذا التواصل إلى إفريقيا جنوب الصحراء بحكم القرب الجغرافي بين القطرين.

- الأثر البالغ لحكام وسلاطين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء على الحياة الثقافية وذلك من خلال دعمهم وتشجيعهم للعلم والعلماء سواء كان ماديا أو معنويا ما جعل الناس يتهافتون على طلب العلم والتبحر فيه وقد نتج عن هذا كثرة العلماء والمؤلفات في مختلف العلوم وبالتالي ازدهار الحياة الثقافية.

- وقد كان لعلماء المغرب الأقصى وتجارتها دورا هاما في توطيد التواصل الثقافي مع إفريقيا جنوب الصحراء، وذلك من خلال نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية بالسودان الغربي عن طريق احتكاكهم بالسلاطين والسكان.

- كما كان للمؤسسات الثقافية دورا بالغا في تفعيل التواصل الثقافي بين القطرين وذلك من خلال توافد الطلبة عليها من مختلف البلاد العربية الإسلامية ما أدى إلى التمازج الثقافي بين الطلبة.

- وكذلك كان للطرق التجارية أثرا واضحا في التواصل الثقافي بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء حيث سهلت عملية التبادل التجاري بين التجار والاحتكاك بين بعضهم البعض وتمخض عن ذلك انتشار اللغة العربية بإفريقيا جنوب الصحراء.

- كما كان للأسر المغربية التي استوطنت بالسودان الغربي تأثير كبير على التواصل الثقافي بين القطرين وذلك من خلال التمازج البشري بين المغاربة والسكان المحليين ما نتج عنه بروز جيل جديد من العلماء والفقهاء الذين عملوا على تثقيف المجتمع السوداني.

- أن الرحلات العلمية والحجية كان لها دورا كبيرا في تبادل الثقافات والأفكار والعلوم بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء كرحلة منسى موسى إلى الحج والتي عادت على إفريقيا جنوب الصحراء بزداد علمي كبير عن طريق المؤلفات والعلماء التي جلبهم منسى موسى معه.
- إن دخول الإسلام إفريقيا جنوب الصحراء واعتناق السكان وملوكهم له وتطبيق تعاليمه غيرت هذه الأخيرة الكثير من العادات السيئة التي كان يعرفها المجتمع الإفريقي فنظم الزواج وأعطى حقوق المرأة وأصبح لباسهم مستور ونظيف.
- أن الجانب العمراني في إفريقيا جنوب الصحراء تأثر بالفن والزخرفة والتخطيط المغربي وتجسد ذلك في بنياتهم وشوارعهم وكذلك في المؤسسات الثقافية كالمساجد والتي كانت معظمها شبه المساجد الموجودة بالمغرب الأقصى.

ملخص الدراسة:

شهدت إفريقيا جنوب الصحراء خلال القرون الأولى تحولات كبرى مست جميع النواحي لاسيما الجانب الثقافي، وكان ذلك بعد انتشار الإسلام وتغلغله بين سكانها وكان للمغاربة الأثر البالغ في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة والنهوض بها إلى قمة الحضارة والتطور، ونشأت روابط وعلاقات سياسية اجتماعية ولعل العلاقات الثقافية هي الأبرز بين تلك العلاقات، ويظهر ذلك جليا من خلال نشاط التبادل الثقافي بين القطرين.

ويعالج هذا الموضوع التّواصل الثقافي بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 2هـ - 9هـ / 8م - 15م.

ومن هنا نطرح الإشكالية التالية: ما هي أهم العوامل التي ساعدت على تقوية الروابط الثقافية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء؟ وما مدى تأثير التواصل الثقافي على إفريقيا جنوب الصحراء؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية أهمها:

ما هي جذور التواصل الثقافي بين القطرين؟

ما هي العوامل ازدهار الحياة الثقافية في كلا القطرين؟

واستخدمنا المنهج التاريخي بآلية الوصف والتحليل مستقرئين المصادر التاريخية والجغرافية ومصادر الرحلة وكذلك المقارن حيث قمنا بالمقارنة بين الحضارة الثقافية بالمغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء، أما المنهج السردى في سرد بعض الأحداث التي تركت أثرا في التاريخ الوسيط.

وتوصلنا من خلال هذه الدراسة لعدة استنتاجات تمثلت أهمها فيما يلي:

- تنوع الثقافات بالمغرب الأقصى بين المشرقية والأندلسية والمغربية وهذا ما ساهم في ازدهار الحياة الثقافية والعلمية فيه، حيث وصل تأثير هذا التواصل إلى إفريقيا جنوب الصحراء بحكم القرب الجغرافي بين القطرين.

- الأثر البالغ لحكام وسلاطين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء على الحياة الثقافية وذلك من خلال دعمهم وتشجيعهم للعلم والعلماء سواء كان ماديا أو معنويا ما جعل الناس يتهافتون على طلب العلم والتبحر فيه وقد نتج عن هذا كثرة العلماء والمؤلفات في مختلف العلوم وبالتالي ازدهار الحياة الثقافية.
- وقد كان لعلماء المغرب الأقصى وتجارتها دورا هاما في توطيد التواصل الثقافي مع إفريقيا جنوب الصحراء، وذلك من خلال نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية بالسودان الغربي عن طريق احتكاكهم بالسلاطين والسكان.
- كما كان للمؤسسات الثقافية دورا بالغا في تفعيل التواصل الثقافي بين القطرين وذلك من خلال توافد الطلبة عليها من مختلف البلاد العربية الإسلامية ما أدى إلى التمازج الثقافي بين الطلبة.
- أيضا كان للأسر المغربية التي استوطنت بالسودان الغربي تأثير كبير على التواصل الثقافي بين القطرين وذلك من خلال التمازج البشري بين المغاربة والسكان المحليين ما نتج عنه بروز جيل جديد من العلماء والفقهاء الذين عملوا على تثقيف المجتمع السوداني.
- أنّ الرحلات العلمية والحجية كان لها دورا كبيرا في تبادل الثقافات والأفكار والعلوم بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء كرحلة منسى موسى إلى الحج والتي عادت على إفريقيا جنوب الصحراء بزيادة علمية كبيرة عن طريق المؤلفات والعلماء التي جلبهم منسى موسى معه.
- إنّ دخول الإسلام إفريقيا جنوب الصحراء واعتناق السكان وملوكهم له وتطبيق تعاليمه غيرت هذه الأخيرة الكثير من العادات السيئة التي كان يعرفها المجتمع الإفريقي فنظم الزواج وأعطى حقوق المرأة وأصبح لباسهم مستور ونظيف.

Abstract

During the first centuries, Sub-Saharan Africa has witnessed major changes that have affected all the aspects particularly the cultural one due to the spread of Islam. Moroccans have had a huge impact on the spread of Islam as well as the spread of the Islamic Arabic Culture in the region which led to the rise of civilization and development. Political and social relations have emerged but the cultural ones were the most highlighted and that was clearly shown through the cultural exchange between the two countries. The present study tackles the cultural communication between Western Maghreb and Sub-Saharan Africa between 8th and 15th centuries. The statement of the problem includes the following: What are the most important factors that helped to strengthen the cultural relations between Western Maghreb and Sub-Saharan Africa, and to what extent the latter was influenced by the cultural communication. The above statement led to the formulation of several research questions most importantly: What are the roots of the cultural communication between the two countries, and what are the factors that led to the flourish of the cultural life in both countries?

A historical approach is used with a descriptive analytical method to induce the historical, the geographical as well as the journey resources, and also the comparative where a comparison is made between the cultural civilization of Western Maghreb and Sub-Saharan Africa. Moreover, the narrative approach is used to narrate some events that left a trace in the mutual history. The results obtained from the study have showed that:

The different cultures in Western Maghreb i.e. Eastern, Andalusia, and Moroccan contributed in flourishing the cultural and the scientific life in the country which reached Sub-Saharan Africa because of its geographical nearness.

The great influence of the rulers and the sultans of Western Maghreb and Sub-Saharan Africa on the cultural life through supporting science and scientists both financially and morally which made people eager to learn and thus the emergence of many scientists and books in different fields led to the development of the cultural life.

Scientists and merchants of Western Maghreb played an important role in establishing the cultural communication with Sub-Saharan Africa through spreading Islam and Islamic Arabic Culture in Western Sudan while contacting the sultans and the ordinary people.

Cultural institutions played a huge role in activating the cultural communication between the two countries which was shown in the coming of

students from different Islamic Arabic Countries that created a mixture of cultures between the students.

Also, the Moroccan families that lived in Western Sudan influenced the cultural communication between the two countries because they were mixed with the local citizens and brought up a new generation of scientists who worked on educating the Sudanese society.

Scientific and pilgrimage trips had a big role in the exchange of cultures, thoughts, and sciences between Western Maghreb and Sub-Saharan Africa like the trip of Mensa Mouse to pilgrimage who brought back with him many books and scientists.

The spread of Islam in Sub-Saharan Africa, the conversion of its people and kings to it, and the application of its teachings have changed many bad habits in the African society at that time in mirage laws and gave rights to women and their clothing became covered and clean.

Résumé

L'Afrique subsaharienne a connu des transformations majeures au cours des premiers siècles qui ont touché tous les aspects, notamment l'aspect culturel, et ce après l'avènement de l'islam et son expansion dans la région. Les habitants du Maghreb occidental avaient un rôle majeur dans cette expansion ainsi que celle de la culture arabe et islamique dans la région et son accès au sommet de la civilisation et du développement, des liens, des relations politiques et sociales sont tissés; les relations culturelles pourraient être les plus importantes parmi ces relations, ce qui est évident grâce au flux d'échange culturel entre les deux régions.

La communication culturelle entre le Maghreb occidental et l'Afrique subsaharienne entre le 8e siècle et le 15e siècle sera abordé dans ce document.

De là, La problématique suivante sera donc soulevée : Quels sont les facteurs les plus importants qui ont contribué à renforcer les liens culturels entre le Maghreb occidental et l'Afrique subsaharienne et quelle est l'impact de la communication culturelle sur l'Afrique subsaharienne?

Cette problématique comporte plusieurs sous-questions, dont les plus importantes sont les suivantes :

Quelles sont les racines de la communication culturelle entre les deux pays?

Quels sont les facteurs qui font prospérer la vie culturelle dans les deux pays?

Dans ce document, nous avons utilisé la méthodologie historique avec le mécanisme de description et d'analyse, en nous inspirant sources historiques et géographiques et des voyages ainsi que la méthodologie comparative, en comparant la civilisation culturelle au Maghreb occidental avec celle de

l'Afrique subsaharienne, et la méthodologie narrative en énumérant certains événements qui ont marqué l'histoire du moyen âge.

Grâce à cette étude, nous sommes parvenus à plusieurs conclusions, dont les plus importantes sont les suivantes:

- La diversité culturelle au Maghreb occidental, à savoir l'orientale, l'andalouse et Maghrébine a contribué à la prospérité de la vie culturelle et scientifique dans ce pays, et cela a eu un impact et a atteint l'Afrique subsaharienne en raison de la proximité géographique entre les deux pays.

- L'impact profond des dirigeants et des sultans du Maghreb occidental ainsi que ceux de l'Afrique subsaharienne sur la vie culturelle, par leur soutien matériel et moral et leur encouragement à la science et aux universitaires, ce qui a poussé les gens à la quête du savoir. Cela s'est traduit par l'apparition d'un grand nombre d'universitaires et tant d'œuvres littéraires dans divers domaines scientifiques et donc la prospérité et l'épanouissement de la vie culturelle.

- Les savants et les marchands du Maghreb occidental ont joué un rôle important dans la consolidation de la communication culturelle avec l'Afrique subsaharienne, à travers la propagation de l'islam et de la culture arabo-islamique au Soudan occidental et à travers leurs contacts avec les sultans et la population.

- Les institutions culturelles ont également joué un rôle important dans la promotion et l'approfondissement de la communication culturelle entre les deux pays, par l'afflux d'étudiants de divers pays arabes et islamiques, ce qui a conduit à un brassage culturel entre les étudiants.

- Les familles du Maghreb occidental qui se sont installées au Soudan occidental ont eu un impact significatif sur la communication culturelle entre les deux pays, à travers un brassage entre les habitants du Maghreb occidental et la population locale, ce qui a entraîné l'émergence d'une nouvelle génération de savants et de juristes qui ont œuvré pour instruire la société soudanaise.

- Les voyages scientifiques et les voyages de pèlerinage ont joué un grand rôle dans l'échange de cultures, d'idées et de sciences entre le Maghreb occidental et l'Afrique subsaharienne, comme le voyage de Mansa Musa au Hajj, qui a été très bénéfique pour l'Afrique subsaharienne sur le plan du savoir scientifique vu le nombre important de scientifiques et d'œuvres littéraires que Mansa Musa a amené avec lui.

- L'introduction de l'islam en Afrique subsaharienne, l'adoption et l'application des habitants et de leurs rois, de ses enseignements, a changé bon nombre de mauvaises habitudes que la société africaine connaissait. Ainsi, il a organisé le mariage, a donné des droits aux femmes et a changé la tenue vestimentaire des gens, elle est devenue plus décente et propre.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- 1/ الإدريسي أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني (ت: 1341هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002/1422، ج1.
- 2/ الأنصاري السبتي محمد بن القاسم: اختصار الأخبار عما كان بثغر سبة من سني الآثار، تح: عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المغرب، ط2، 1403.
- 3/ البرتلي الولائي أبي عبيد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق (ت: 1130هـ): فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار العرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1981.
- 4/ ابن بشكوال (ت: 578هـ): الصلة، تح: إبراهيم الأباري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2.
- 5/ ابن بطوطة أبو عبد الله محمد الطنجي (ت: 1377م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: الشيخ محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1987، ج1.
- 6/ البكري أبي عبيدة (ت: 487هـ): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثني، بغداد.
- 7/ البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 679هـ): فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 8/ التلمساني محمد بن مرزوق (ت: 781هـ): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح: ماريا حيسو سبيغيرا، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981.
- 9/ الجزنائي علي : جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1411هـ - 1991م.
- 10/ الحسن الوزان بن محمد الفاسي (ت: 957هـ): وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط2، 1983، ج2.

- 11/ الحموي ياقوت(ت: 628هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج6.
- 12/ الحميري (ت: 727هـ): الروض المعطار في خير الأقطار، تح: إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ، بيروت، ط1، 1975.
- 13/ ابن حوقل النَّصَّيبي أبي القاسم(ت: 380هـ): المسالك والممالك، مطبع بريل، مدينة ليدن، 1873.
- 14/ ابن حوقل النَّصَّيبي أبي القاسم(ت: 380هـ): صورة الأرض: دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، 1996.
- 15/ ابن الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي لسان الدين(ت: 776هـ): أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: سيد كشروي حسن، دار الكتاب العلمية، بيروت- لبنان، ج2.
- 16/ ابن خلدون عبد الرحمان(ت: 808هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط4، 1421هـ/2000م، ج6.
- 17/ ابن خياط(ت: 517هـ): تاريخ خليفة بن الخياط(ت: 640هـ)، تح: أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1985.
- 18/ الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد (ت: 670هـ): طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البحث، الجزائر، ج1.
- 19/ الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم(ت: 425هـ): تاريخ إفريقية والمغرب، تح: عبد الله العلي الزيدان، عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.
- 20/ ابن أبي زرع الفاسي أبي الحسن علي ابن عبد الله(ت: 726هـ): الدخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط- المغرب، ط1، 1972.
- 21/ ابن أبي زرع الفاسي أبي الحسن علي بن عبد الله(ت: 726هـ): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

- 22 / الزركشي أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم(ت: 794هـ): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضي، جامع الزيتونة، تونس.
- 23 / أبي زكريا يحيى بن أبي بكر (ت 471هـ): سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1979.
- 24 / السعدي عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر(ت: 1055هـ): تاريخ السودان، مطبعة بردين، مدينة أنحي.
- 25 / ابن سعيد المغربي (ت: 685هـ): بسط الأرض في الطول والعرض، تح: خوان قرنيط خينس، معهد مولى الحسن، تطوان، 1958.
- 26 / السيوطي الحافظ جلال الدين عبد الرحمان(ت: 911هـ): بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة، تح: محمد أبو الفاضل إبراهيم، ط1، 1384هـ / 1964م / ج1.
- 27 / الشنقيطي تقي الدين أحمد بن الأمين(ت: 93هـ): الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، تح: فؤاد سيد، مطبعة المدني، القاهرة، ط4، 1409هـ / 1989م.
- 28 / ابن عبد الحكم(ت: 657هـ): فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ج2.
- 29 / العمري ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى(ت: 749هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2010، ج4.
- 30 / ابن الفرضي الحافظ أبي الوليد عبد الله بن محمد(ت: 403هـ): تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2008، ج1.
- 31 / ابن الفقيه أبي بكر أحمد بن محمد الهمداني(ت: 340هـ): مختصر كتاب البلدان، تح: يوسف الهادي، مطبع بريل، مدينة ليدن، 1996.
- 32 / القزويني زكرياء بن محمد بن محمود(ت: 682هـ): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.
- 33 / القلقشندي أبي العباس أحمد(ت: 821هـ): صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915.

- 34/ مارمول كرخال: إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر، الرباط، 1989، ج3.
- 35/ المراكشي ابن عذارى أبو عبد الله محمد(ت: 712هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ط2، 1983، ج4،
- 36/ المراكشي عبد الواحد(ت: 581هـ): وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسن مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1997.
- 37/ المقرئ أحمد بن علي(ت: 845هـ): الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تح: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2000.
- 38/ المكناسي أحمد ابن القاضي(ت: 960هـ): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ج1.
- 39/ مؤلف مجهول: تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، المكتبة الوطنية، باريس، 1966.
- 40/ مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة وبلاد المغرب، تعليق: سعد زغلول، عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق.
- 41/ الناصري أبو العباس أحمد بن خالد(ت: 1315هـ): الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الإسكندرية، 1954، ج2.
- 42/ النباهي المالقي الأندلسي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن(ت: 793هـ): تاريخ قضاة الأندلس، تح: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980.
- 43/ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق ابن جعفر بن وهب ابن وضاح(ت: 284هـ)، البلدان، وضعه: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

ثانيا: المراجع:

- 1/ بازينة عبد الله سالم: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط1، 2010.
- 2/ التازي عبد الهادي: جامع القرويين، دار الكتاب اللبناني، الرباط- المغرب، ط2، 2000.
- 3/ جلال يحي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999.
- 4/ جوان جوزيف: الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تح: مختار السويفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1984.
- 5/ حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، ط1، 2000، ج2.
- 6/ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط1، 1980.
- 7/ حمدي عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعة، جامعة الإسكندرية، 1997.
- 8/ الدالي الهادي المبروك: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا في ما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18م، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة- مصر، ط1.
- 9/ الدالي هادي المبروك: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13م-15م، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 2001.
- 10/ سامعي إسماعيل: دراسة في تاريخ العلاقات بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي والأوسط (إفريقيا جنوب الصحراء)، مؤسسة حسن رأس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة- الجزائر، 2018.
- 11/ سحر عنتر، محمد أحمد مرجان: فقهاء المالكية وأثرهم في مجتمع السودان الغربي في عهد مملكتي مالي والسنغاي (628هـ - 1000هـ / 1230م - 1591م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 2011م.

- 12/ سيرتوماس أرلوند: الدعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970.
- 13/ شكري أحمد: الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230-1430م، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط1.
- 14/ صفر أحمد: مدينة المغرب العربي في التاريخ، دار بوسلامة، الإسكندرية- تونس، ج1.
- 15/ عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، الرياض.
- 16/ الغربي محمد: بداية الحكم المغربي في السودان العربي، مؤسسة الفليج للطباعة والنشر، الكويت، 1737، ج1.
- 17/ الفيتوري عطية مخزوم: دراسات في غرب إفريقيا وجنوب الصحراء، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، 1998.
- 18/ قداح نعيم ، عمر الحكيم: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام.
- 19/ القشطاط محمد سعيد: أعلام من الصحراء، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 1997.
- 20/ كنون عبد الله: النبوغ الفكري في الأدب العربي، ط2، 1960، ج1.
- 21/ لوطورنو روجي: فاس قبل الحماية، تر: محمد حصي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1996، ج1.
- 22/ محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1971.
- 23/ المكناسي محمد بن الغازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، الرباط، 1952.
- 24/ المنوبي محمد: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، مطبوعات دار المغرب للأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط2، 1977.

25/ مؤلف مجهول: تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، المكتبة الوطنية، باريس، 1966.

26/ النميري الحاج: فيض العباب وإفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة: محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، الرباط، ط1، 1995.

المذكرات

1/ باهية أمينة، برداد كلثوم: التعليم العربي الإسلامي في غرب إفريقيا من القرن 8 إلى القرن 10هـ/ 14-16م، مذكرة ماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجبالي، بونعامة خميس مليانة، 2015-2016.

2/ بكاي هوارية: العلاقات الزيانية المرينية ثقافيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008.

3/ بوداوية مبخوث: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان، 2005-2006.

4/ جهيمي أحمد محمد: العلاقات التجارية بين مملكة غانة وبلاد المغرب فيما بين القرنين 3 و5هـ/ 9-11م، كلية الآداب والعلوم، جامعة عمر المختار.

5/ حميسي رانية، توحاري نجية: دور علماء المغرب الأوسط والأقصى الثقافي في السودان الغربي من القرن الثاني إلى الثالث عشر الهجريين/ 8م-19م، مذكرة ماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجبالي بونعامة خميس مليانة، 2016-2017.

6/ دباح خديجة ، نسرين إسماعيلي: تأثير بلاد المغرب على السودان الغربي اجتماعيا واقتصاديا (القرن 16م-19م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد محمد لخضر، الوادي، 2017.

7/ عبيدي سعد مريم: الجالية المغاربية في السودان الغربي بين القرنين 5هـ - 9هـ /
11م - 15م، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة
الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2018 / 2019.

المجلات:

- 1/ أحمد إلياس حسين: العلاقات بين المغرب الأقصى وبلاد السودان، مجلة الدراسات
الإفريقية، الجامعة العليا، ماليزيا، العدد: 34.
- 2/ أحمد الياس: طرق القوافل عبر الصحراء والممالك الإفريقية جنوبي الصحراء الكبرى
في المصادر العربية في قرن 6هـ / 12م، مجلة الدراسات الإفريقية، عدد: 2، شعبان
1406هـ / أبريل 1986.
- 3/ شبانة محمد كمال: المدن الثقافية الإسلامية فاس، مجلة دعوة الحق، العدد: 253،
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط- المغرب، أكتوبر 1985.
- 4/ الصافي محمد: إسهامات علماء المغرب في التواصل الفكري والثقافة مع بلدان إفريقيا
جنوب الصحراء، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد: 36.
- 5/ يعقوب علي: دولة مالي الإسلامية (628هـ - 834هـ / 1230م - 1430م)، مجلة
قراءات إفريقية، العدد: 20، 2015.

الصفحة	العناوين
	الشكر
	الإهداء
1 - ح	مقدمة
المدخل التمهيدي: دراسة جغرافية بلاد المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء	
10-8	المطلب الأول جغرافية بلاد المغرب الأقصى
11	المطلب الثاني جغرافية بلاد إفريقيا جنوب الصحراء
14-12	المطلب الثالث جذور التواصل الثقافي بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء
الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية بالمغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء فيما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م	
31-16	المبحث الأول عوامل نمو الحياة الثقافية بالمغرب الأقصى فيما بين القرنين 2هـ- 9هـ / 8م-15م
42-32	المبحث الثاني عوامل نمو الحياة الثقافية بإفريقيا جنوب الصحراء فيما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م
الفصل الثاني: عوامل تمتين التواصل الثقافي بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء فيما بين القرنين 2هـ-9هـ / 8م-15م	
55-44	المبحث الأول المسالك والمراكز الثقافية والتجارية
65-56	المبحث الثاني الرحلات العلمية الحجية
الفصل الثالث: مظاهر تأثير التواصل الثقافي على إفريقيا جنوب الصحراء	
71-67	المبحث الأول مظاهر التأثير اجتماعيا
76-72	المبحث الثاني مظاهر التأثير ثقافيا
79-78	الخاتمة
84-80	ملخص الدراسة
93-86	قائمة المصادر والمراجع

تَمَجِّدُ اللَّهَ